صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الثالث

المجلة الجديدة

العدد الثالث
من
السنة الثامنة

حارة جاد - شارع الفجالة - مصر

مارس ١٩٣٩

افتتاحيـــــــــات

الشخصية الانسانية

الشخصية مثل جميع الأشياء السامية في الأحياء الانسانية يستعصي تعريفها التعريف المشبع .ولكن هذه الحال عامة في كل ما يسمو في اجتماعنا فنحن يشق علينا أن نعرف الدين أو الشرف أو البطولة أو السمو . وقصارانا أن نلتمس الامثلة الانسانية التى تبرز فيها هذه الصفات فنتمثل بها

ولذلك يسهل علينا أن نقول إنه كان لنابليون شخصية عظيمة . ثم نقول بعد ذلك أن لغاندى شخصية أخرى عظيمة . ومع تناقض هاتين الشخصيتين فاننا نعترف بهما . ولكن تناقضهما الواحد للعنف والآخر للرفق يبين لنا صعوبة التعريف للشخصية

وفيما بين نابليون وغاندى لنا شخصيات مختلفة تتفاوت قوة وتختلف نوعا . وهذا الاختلاف لازمة من لوازم الشخصيات . لان اعظم ميزات الشخصية هو الاستقلال . نعنى استقلال الفكر والضمير والاخلاق

فكيف تنشأ هذه الشخصية ؟

ليس شك في ان للوراثة التى يتكون بها الجسم اعضاؤه وخلاياه وغدده أثر في تكوين الشخصية

ولكن هذا الأثر نكاد نعجز عن تعرفه وقياسه أو تقويته إلا إذا كان النقص واضحا جدا. وانما أعظمها يكوّن الشخصية بعد ذلك: هو البيئة الاجتماعية والثقافية ونعنى هنا البيئة الحرة التى ينشأ فيها الفرد وهو يتعلم ويتدرب فى انطلاق الحواس وحرية الذهن . وليست هذه الحرية مع ذلك فوضى ولكنها ليست أيضا تقييدا. وكلاهما — الفوضى والتقييد — لا يعمل لتكوين الشخصية . فالرجل المقيد بأغلال أو الذى نحبسه فى سجن لا يمكن ان تكون له شخصية . وكذلك الرجل الذى يعيش فى غير نظام فى فوضى الأسرة المتفككة وتشرد الشوارع وتسكع الكسب وتقلب العيش لا يمكن أن تكون له شخصية. ولكن النظام الحسن يتيح من الحرية ما يجعل التدريب ممكنا . ولذلك نجد أن الرقص اجمل من المشى على الرغم بما فيه من القيود التى تحد بها من الحركات المطلقة للمشى

وكذلك الشخصية تنمو فى البيئة الحرة التى تجمع مع ذلك من القيود ما يحتاج اليه النظام والتدريب. وهذا النظام والتدريب يوسعان أبعاد الشخصية وينميانها. فنحن حين نتعلم ونتدرب نعانى قيودا فى التعليم او التدريب . ولكن شخصيتنا تكبر بهما. والرجل المحترف يتقيد بحرفته التى تحبس حريته بضع ساعات كل يوم ولكنها أى هذه الحرفة تكبر شخصيته لأنها تربيه كل يوم وتنمى ذكاءه وتجعله يتمهر فى حركاته ونظراته وتفكيره بخلاف ما يحدث للرجل العاطل الذى يظن انه لا رقابة عليه . وكذلك يفضل ايضا المتزوج الاعزب لان مسئوليات الأول أكبر وهمومه اعم واتصاله بنبع الحياة اتم

تكبر الشخصية الانسانية بالتربية وبالحرفة وبالزواج والاسرة وبالاجتماع الحسن المنظم وبالثقافة والدين والفلسفة والفنون. بشرط أن نمارس هذه الاشياء جميعها فى حرية . نختار ما نود ان نثقف به أنفسنا ونترك الحرفة التى نكره ونصطنع تلك التى نحب ونتزوج مختارين . ونستطيع ان نترك الاجتماع الذى لا نجد فيه التربة الصالحة لنمونا وسعادتنا

وهذه الحرية التى اشترطها هى التى تجعل لنا شخصيات مختلفة لان كلا منا يسير فى الطريق الى يختار من ثقافة أو دين وفن او عادات حتى اذا بلغ الاربعين أو الخمسين صار له ما يشبه الكيان المستقل فى وسط الامة التى يعيش فيها . وصار يمتز باستقلاله وصارت له كرامة خاصة تبعثه وقت الحاجة الى ان يقف تلك المواقف التاريخية يصيح فيها فى وجه الظالم « لى ضمير » وهو عندئذ فى عالم الاجتماع كأنه سلالة جديدة فى عالم البيولوجية

ومادامت الحرية هى الشرط الأول لتكوين الشخصية فاننا لا يمكننا ان نعين طرازا للشخصيات وان نصبها فى قالب . لأن الحرية تقتضى الاختلاف ، والدنيا فى حاجة من وقت لآخر الى امثال غاندى وابليون فى العنف والغاندى فى الرحمة

والأثر الحضارة والثقافة مما هو خير من الشخصية الانسانية سواء فى الأزمنة القديمة أم الحديثة . وذوو الشخصيات العظيمة هم الثمرة العالية للبيئة الاجتماعية والثقافية . ومن مصلحة الاجتماع أن يتوسع فى الحرية الثقافية والدينية لكى تبقى التربة على الدوام صالحة لنمو الشخصيات

اما اذا وقفت الدولة وجعلت نفسها فوق الفرد وقررت له ثقافته وسلوكه وحرفته وتعليمه فانه ينشأ فى قيود محبطة تحول دون نمو شخصيته فهو يجب الا يقرأ هذه الجريدة او المجلة أو هذا الكتاب وهو يجب أن يقول بهذا المذهب الاقتصادى دون سواه ، وهو يجب أن يتجنب الحديث فى هذا الموضوع أو ذاك الى آخر ذلك من القيود التى تعوق النمو الذهنى والأخلاقى والديني وفى مثل هذا الوسط الذى يسود الأن الدول الجامعة سواء كانت فاشية أم شيوعية لا تنمو الشخصيات انما تنمو الشخصية حيث الحرية الى تنأى عن الفوضى كما تنأى عن القهر : حرية النظام

البابا بيوس الحادى عشر

فوجىء نحو تلثمائة مليون مسيحى كاثوليكى بوفاة البابا بيوس الحادى عشر رئيس الكنيسة الكاثوليكية . وهذه الكنيسة لا يضارعها فى القدم سوى القبطية الارثوذكسية . والذين يقرأون الصحف يسمعون عن لفظة بابا او بطريرك . والحقيقة ان الكنيسة سواء فى روما أم فى القاهرة لا تعرف هاتين اللفظتين . لأن البابا فى روما هو « أسقف روما » فقط وهو الحادى والستون بعد المائتين . وبطريرك الاقباط فى مصر هو أسقف الاسكندرية

ولكن لما كانت روما هى عاصمة الدولة الرومانية تضخم مقام الأسقف الذى يقيم فيها حتى رأينا فى القرن الرابع للميلاد أن القديس أوغسطين — وقد كان أسقفا — ينبه على وجوب الطاعة لاسقف روما . ولما كانت الاسكندرية عاصمة مصر أيام دخول المسيحية فان الاسقف الذى كان يعين لها اصبح له مكان الرياسة لسائر الاساقفة

والكنيسة الكاثوليكية تعد نفسها أم الكنائس . وقبل نحو عشر سنوات انشىء بمساعى الانجليز والامريكيين ما يسمى « اتحاد الكنائس » لضم جميع الكنائس المسيحية على اختلاف مذاهبها فرفضت الكنيسة الكاثوليكية الدخول فى هذا الاتحاد اعتدادا بنفسها وانها هى الام التى يجب ان يعود اليها أولادها الذين انشقوا عنها ، ولا شك فى انها تشعر بقوتها ونظامها وثروتها . وهى تعانى هذه الأيام بعض الشدائد ولكنها رأت من زعازع التاريخ ما يجعلها تطمئن ولاتخشى القلاقل الحاضرة . وقد كسبت من اختباراتها الماضية فى مدى الفين من السنين خبرة واسعة تجعلها تلتزم المحافظة وتأبى التجديد . فقد درجت مثلا على ان الطلاق محرم وان المسيحى الذى يتزوج على الأرض قد تزوج فى السماء وهى ترفض كل الآراء العصرية عن هـــــذا الموضوع ولا تبالى الانتقاد . وهى ترى أن ابناءها يطمئنون اليها ، وبرهانها البارز على ذلك ان الكاثوليك اقل الطوائف المسيحية انتحارا فى جميع الأمم ، فكأن غيرهم غير قانع بالحياة فى حين انهم راضون بها بفضل كنيستهم وايمانهم بها

وقد امضى البابا بيوس الحادى عشر سبع عشرة سنة على كرسى رومة ، ومات وهو فى الحادية والثمانين . وقد عكرت عليه السنوات العشر الاخيرة طغو الشيطولحة . فأنه رأى مذاهب جديدة ينادى بها فى اوربا الوسطى وخاصة فى المانيا والنمسا حيث لغط المسئولون من رجال الدولة عن فصل الكنيسة من الدولة أسوة بفرنسا والولايات المتحدة . ورأى دعايات سياسية واجتماعية تنافى الروح المسيحى فى كل من ايطاليا والمانيا كما يفهم هذا الروح حبر من أحبار الكنيسة فى ضوء تقاليدها الماضية ومستقبلها القادم . وكانت الاشتراكية التى تمارس فى روسيا مع صيغتها العدائية للدين شوكة تؤلم ضميره الدينى منذ تولى كرسى رومة . وقد اصدر منشورات ضد الشيوعية الروسية . ولكن البابا بيوس الحادى عشر جاء متأخراً نحو الف سنة من حيث تحريك أوربا إلى المناضلة عن الدين المسيحى . وهو ينتقل إلى العالم الآخر فى الوقت الذى يفكر فيه خمسون مليونا من المسيحيين الكاثوليك (فى المانيا والنمسا) فى فصل كنيستهم عن الدولة

ومما يعزى اليه انه عقد الصلح بين البابوية وبين دولة ايطاليا بعد خلاف دام ٥٨ سنة . ففى سنة ١٩٢٩ اعترفت حكومة ايطاليا بدولة الفاتيكان أى دولة البابا وعينت حدود أرضها فى بقعة تتحيز

جزءاً من رومة وجزءاً آخر من الضواحى . ولم يكن البابا بيوس غيورا كل الغيرة على هذا الاتفاق كما يدل على ذلك انه عند ماوقف موسولينى يعرض هذا الاتفاق على البرلمان ذكر انه لولا الدولة الرومانية لما عاشت المسيحية . فلم يكن من البابا المتوفى الا ان سارع إلى الاحتجاج وهدد بنقض الاتفاق إذا لم يعتذر الزعيم الفاشى عن هذا الخطأ . لأن عنده ان المسيحية اكبر من الدولة . وهى تعيش ولو ماتت الدولة . وكان ان اعتذر موسولينى

• • •

وقد كان البابا المتوفى امينا على مكتبة الفاتيكان . فكان بحرفته اسقفا وبمزاجه رجلا مثقفا لاتكاد تفوته قراءة كتاب مهم فى اللغات القديمة أو الحديثة . وكان يؤلف منشوراته الكنيسية باللغة اللاتينية القديمة فى عبارة فصيحة . واعظم منشوراته ذلك الذى شرح مواقف الكنيسة ازاء الزواج وموقفها ازاء حركات العمال . وقد التزم التقاليد الصارمة فى المنشور الاول ورضى بشىء من الاراء العصرية فى المنشور الثانى

وفى يوم ٣ مارس يجتمع الكرادلة لانتخاب البابا الجديد بالقرعة السرية

اقتصادياتنا الزراعية

أشار الاستاذ حسين محمود عنان بك فى مذكرة للمجلس الاستشارى الاعلى لوزارة الزراعة إلى ضرورة الحذر من المبالغة فى استعمال الآلات الزراعية لانها تحدث عطلا فى الزراعة . ولما كان كاتب هذه السطور مشغولا منذ سنوات بهذا الموضوع فانى أرى التوسع بعض الشىء فى شرحه

١ — فقبل نحو ست سنوات القيت محاضرة فى قاعة يورت قلت فيها ان الدوائر الزراعية الكبيرة احدثت عطلا بين الفلاحين لانها اغرقت فى استعمال الآلات الزراعية . وليس من الضرورى ان يكون هذا العطل دائما على طول العام . إذا يكفى ان يحرم الفلاح من العمل والكسب معظم العام ولا ينال أجرا إلا على ايام قليلة تحتاج الدائرة الى عمله فيها . وهو لذلك فى قحط ان لم يكن فى جوع . لأن الدائرة الكبيرة تستخدم الالات الزراعية فى الحرث والرى والحصاد . وهذه الالات تغنى عن العمال او لاتحتاج إلا الى القليل منهم

ولما كان نصف الارض الزراعية فى القطر كله يملكه اقل من ثلاثة عشر الف مالك فان هذه الدوائر كثيرة جدا والعطل فيها — مع ما يستتبعه من قحط — فاش فيها كل الفشو . ولا شك فى ان هذه الدوائر — مع جميع الاعتبارات — تكسب من استخدام الآلات الكبيرة . وان كان ينتج من استخدامها فساد خق فى الاقتصاديات الزراعية من حيث استغنائها ايضا عن الماشية وما يستتبعه هذا من فقدان الاسمدة البلدية

٢ — وقبل نحو ثلاث او اربع سنوات كتبت فى البلاغ أبين كيف ان الاتوموبيل قد انتشر فى المدن والريف لنقل الناس والبضائع . وان انتشاره قد افسد الاقتصاديات الزراعية . وذلك انه لم تكن تخلو عزبة صغيرة او كبيرة فى مصر من الخيول والجمال . وكان وجودها يستدعى الرواج فى العلف اى التبن والشعير والفول . وكان الفلاح يكسب فى نقل القطن وفى تزويد المدن الكبيرة مثل القاهرة والاسكندرية وطنطا بالعلف يستنتجه من ارضه . فلما جاء الاتوموبيل فسد هذا النظام وصرنا نشترى البنزين بالثمن الذى كنا نؤديه للفلاح

٣ — ثم جاءتنا النكبة الثالثة فى السماد الكيماوى . بل هذا السماد نفسه هو الذى جرأ كبار المالكين على الاستغناء عن الماشية لانهم لم يعودوا فى حاجة الى متخلفاتها المخصبة للارض . بل هو جرأ حتى المالك المتوسط الى هذا الاستغناء الكلى او الجزئى فضعفت التربة وفقدت خصوبتها السابقة والاستغناء عن الماشية قد استتبع — كما قلنا — استغناء عن العمال

وبذلك نستطيع ان نقول ان استعمال الالات الزراعية البخارية او الموطرية وكذلك انتشار الاتوموبيل واخيرا الاغراق فى استعمال الاسمدة . كل هذا قد جعل الدوائر الزراعية الكبيرة وهى تملك نحو مليونين ونصف من الافدنة كما جعل المتوسطين من المزارعين فى بعض الاحيان يستغنون عن الماشية وهذا الاستغناء عن الماشية قد أدى الى الاستغناء عن العمال الفلاحين وأحدث بينهم قحطا جزئيا . كما ان قلة الماشية فى الريف او عدمها قد جعل الاعتماد كبيرا على الاسمدة الكيماوية فكان هذا سببا لضعف التربة المصرية التى لا تحصل على الغذاء الصحيح الذى يحمل اليها الفيتامينات المخصبة فى متخلفات الحيوان . وقد فى كتب المزارع الانجليزى المستر بنسوزان فى مجلة سبكتاتور مقالا عن الضرر العظيم الذى يعود على الارض من اقتصارها على الاسمدة الكيماوية

والآن يرى القارىء اننا فى سلسلة من أسوأ الحلقات . وان ما يضر الزراعة المصرية يضر أيضا بالفلاح الاجير . وان جشعنا الاعمى الذى يجعلنا نعقد المؤتمرات لابادة دودة القطن ولا نفكر فى عقد مؤتمر لابادة الدود الذى يأكل أجسام الفلاحين — هذا الجشع هو نفسه الذى أفسد اقتصادياتنا الزراعية فجاءنا الفقر من حيث كنا نتوخى الغنى . فتربتنا قد فقدت خصوبتها وعزبنا قد خلت من الماشية . وفلاحنا قد استغنينا — أو كدنا نستغنى — عن عمله لاننا نستعمل البنزين والفحم

وزراعة بلا انسانية هى زراعة تستحق ان تموت . والانسانية تنادينا الآن ان نغير خططنا التى سرنا عليها مدى خمسين سنة وان نرسم للاقتصاديات الزراعية خطة جديدة أساسها ان قيمة الفلاح اكبر جدا وجدا من قيمة القطن . وكفى

طرد مياه البحر واستثمار أرضه

فى الشهر الماضى كتب الدكتور محمد على الكيلانى مقالا منيرا عن الخطط الزراعية التى تتبعها هولندا وكيف انها شرعت منذ ٦٠٠ سنة فى زيادة المساحة لارضها الزراعية بنزح مياه البحر وتجفيف قعره حتى يعود تربة زراعية صالحة . وقد أرفق مقاله بخارطتين احداهما تبين هولندا حوالى سنة ١٥٠٠ والمياه تغمر معظم وأرضها الاخرى تبينها فى سنة ١٩٣٤ حين صارت قطرا زراعيا عظيما وخاصة بعد أن نزحت المياه من بحر زودرزى . وقد زار هو نفسه هذا القطر العجيب الذى تملكه أمة نشيطة احترفت الزراعة الدقية وبدلا من أن تغير على الاقطار التى تجاورها تعمد الى البحر فتحاربه وتأخذ منه حاجتها من الارض .فهى تتوسع وتغزو ولكن دون أن تحارب الامم وتقتل الناس

وقبل أيام زار مصر هولندى كبير هو المسيو كرول . وهو المدير العام لمياه الشرب التى يشربها الهولنديون فى المدن والقرى .وفى قطر مثل هولندا حيث تستوى الارض بسطح البحر أو تنخفض عنه يصعب استنباط المياه العذبة لان البحر يرشح ويصيبها بملوحته . وهذا هو حالنا فى أرضنا الشمالية بالدلتا . ولذلك تعنى الحكومة الهولندية العناية الكبيرة بايجاد الماء العذب لسكانها . والمسيو كرول هو المدير العام للمصلحة القائمة بهذا العمل

وقد ألقى المسيو كرول محاضرة عن اصلاح الارض فى هولندا أى كيف يغزو الهولنديون البحر

ويطردون مياهه ويستعمرون أرضه ، وقد زادنا معرفة بهذا الموضوع على ما سبق للدكتور الكيلانى ان شرح بعضه . فانه بين كيف أن بحر زودرزى الذى نزحت مياهه كان يبلغ فى العمق ثمانية أمتار (وبحيرة المنزلة عندنا لا تزيد على متر) وقد فصلته الحكومة الهولندية من البحر بسور حاجز كلفها أربعين مليون جنيه . ثم نزحت المياه المالحة . وغمرت الارض بعد ذلك بمياه عذبة من نهر الرين والموز وبعض الانهر الصغيرة الاخرى . وتركت المياه العذبة راكدة مدة حتى امتصت أكبر مقدار من ملوحة الارض ثم نزحت هى أيضا . فصارت الارض بعد ذلك صالحة للزراعة وهى الآن يزرع فيها القمح والبنجر والبرسيم وسائر النباتات التى تتفق والدورة الزراعية عند الفلاح الهولندى. وشقت المجارى والقنوات وبعضها من السعة بحيث يمكن السفن الكبيرة أن تمر فيه

وهذا المجهود الذى قامت به هولندا جدير بأن يفتح أعيننا . فان بحيراتنا فى شمال الدلتا مثل المنزلة والبرلس ومريوط لا يزيد العمق فى معظمها على متر ويمكن بسهولة نزح المياه منها واكتسابها للزراعة ولا قيمة لما يقال عن الفوائد التى تعود من تربية السمك فيها . فان القطر الذى يملك الغمر فى بحرين عظيمين — البحر الاحمر والبحر المتوسط — لا يفكر فى الضحاضح . وحاجتنا الى السمك لا تعالج بتخصيص بحيرات له ولكن بايجاد الخبرة والوسائل لصيده من هذين البحرين العظيمين ، وربع فدان من الارض المزروعة يساوى ربع مائة فدان بل أكثر من مياه بحيراتنا . ومما يلاحظ أن الحاجز الذى اقامته هولندا للفصل بين زودرزى والبحر كلفها أربعين مليون جنيه . ولكنا لانحتاج لمثل هذا الحاجز . فان بحيراتنا محجوزة مفصولة عن مياه البحر الا فى ثغرات صغيرة يمكن اقفالها بأقل النفقات . واذن لم يبق سوى تكاليف النزح

وازاء الزيادة المطردة فى السكان وبطء الحركة الصناعية بل ازاء التكاليف الجديدة التى يقتضيها استقلالنا يجب ان نفكر فى التوسع الزراعى ونأخذ فى الاقتداء بهولندا فى غزو البحر . ولسنا نقول هذا لاننا نستصغر من شأن الحركة الصناعية بل لاننا نستبطىء تقدمها الحاضر. وعندنا ان الحركة الصناعية لا تزيد ثروة الامة فقط بل هى الوسيلة الى تعميم الحضارة الحديثة . لان هذه الحضارة هى — بعد كل شىء — صفة المدينة والمصنع وليست صفة الريف . فاذا كان لنا حافز واحد لزيادة الزراعة وهو الحافز الاقتصادى فان لنا حافزين لزيادة الصناعة وهما الثروة والحضارة

والمتأمل لهذا القطر الغنى بمصادره الطبيعية ، الفقير فى نشاط ابنائه يشعر بأن لاحد لزيادة ثروته الزراعية والصناعية . فانا بعد أن ننتهى من تجفيف نصف مليون فدان من هذه البحيرات نستطيع ان نزرع بأقل مجهود هــذه الصحارى المنخفضة فى شرقى الدلتا والقاهرة الى السويس . كما نستطيع ان نجد فى حديد اسوان وفى قوة المياه الساقطة فى الخزان ما يكفى لايجاد حركة صناعية تستوعب جميع المواد الخامة عندنا . ولــكن كل هذا ينتظر نشاط مصر . فأين هو ؟

رجال الذهن الفنيون

منذ ظهرت الدول الدكتاتورية — روسيا ثم ايطاليا ثم المانيا — ظهرت ايضاتلك الشخصية الشاردة شخصية رجل الذهن الفار أو المطرود . وهى شخصية عرفها التاريخ ايام الانقلابات . فان المغول شتتوا أدباء بغداد ومثقفيها كما شتت الحكم الاسبانى فى القرن الخامس عشر العرب . بل كما شتت الفتح التركى للقسطنطينية سنة ١٤٥٣ الفقهاء البيزنطيين فى انحاء اوربا . وكان هــذا التشتيت سببا لاحداث نهضة فى الامم التى نزل فيها الفارون او المطرودون من رجال الذهن . لأن الثقافة تضوى بالتوالد الداخلى وتقوى بالتزاوج مع العناصر الغريبة . واعتبر ذلك بثقافة العرب التى وثبت عندما امتزجت بثقافة الاغريق . واعتبر ذلك ايضا بنهضتنا الفكرية التى تعزى الى اللقاح الاوربى .

وقد طردت روسيا السوفيتية جميع رجال الذهن الذين لا يؤمنون بنظرية كارل ماركس والذين لا يصفقون لــكل ماقام به لنين او يقوم به ستالين . ثم جاءت ايطاليا ففعلت العكس وطردت جميع الزعماء الفــكريين من خصوم الفاشية وفعلت مثل ذلك المانيا وزادت بطرد اليهود .

واصبحت المدن الــكبرى فى اوربا وامريكا حافلة بالعلماء والادباء من المسيحيين واليهود الذين تثبت عليهم تهمة الديمقراطية وتلصق بهم . وبديهى ان الدول الدكتاتورية لاتطرد العامة ومن لايخشى شأنهم . وانما هى طردت الخطار أى ذوى الاذهان الناضجة الذين يؤلفون النظريات ويرسمون المثل العليا ويوجهون العقول وجهات تخالف مبادىء الدول الدكتاتورية وهم دعاة الحرية الفكرية التى لا تتفق والنظام الشيوعى أو الفاشى . ومع ان الامم الديمقراطية تشعر بالعبء الجديد الذى ألقى عليها بتشتيت هؤلاء الرجال واضطرارها الى ايوائهم فانها ايضا تشعر بأنها ستنتفع بهم من

بحيث لهم عنصر غريب يصح ان يكون لقاحا جديدا للثقافة الوطنية اذا امتزجت بها واندغم فيها. لأن الاستقلال قد ينجح فى الاقتصاديات وقد يكون اثره حميداً حين تعمل الامة على الاستغناء عن كل ماتستطيعه من الواردات الأجنبية. ولكن حتى هنا يجب الشك فى المبالغة فى هذا الاستقلال. على ان مما لا يتحمل الشك بل ما يجب توكيده ان الثقافة لايمكنها أن تعيش مستقلة

وقد انتهز الانجليز والامريكيون هذه الفرصة واستخدموا المئات من هؤلاء الفارين او المنفيين. وقد انشئت لهذه الغاية جمعية فى بريطانيا تسمى « جمعية حماية العلوم والثقافة » وقد استطاعت ان تستخدم الى الآن ٥٢٤ فى وظائف ثابتة و٣٠٦ فى وظائف غير ثابتة. ومعظم هؤلاء من الألمان المسيحيين او اليهود واكثرهم من العلماء فى الكيمياء اوالطبيعيات او الطب او الاقتصاديات ومن اغرب ماوجدته هذه الجمعية عدد كبير من المبعدين الذين اختصوا بتاريخ الفنون: وهذا التاريخ من الموضوعات التى يدرسها الالمان ولا يكاد يباليها الفنانون او المؤرخون فى الأمم الديمقراطية. وقـد استخدمت الجمعيـة من هؤلاء ثلاثين الى الآن سوف يكونون خميرة للتثقيف الفنى فى المستقبل. والجامعات الامريكية وكذلك جامعات بريطانيا ومستعمراتها تجد الميدان واسعا لاستخدام عدد كبير

ولكن بين هؤلاء المبعدين من كانوا يعملون فى الصحافة او الأدب. وهؤلاء قد اعتادوا اللغة التى نشأوا عليها وتعلموها ومارسوا التأليف بها. ولذلك يصعب الانتفاع بهم فى امة غريبة والجمعية تتصدق عليهم بما يعولهم كما تبحث فى الوقت نفسه عن اعمال — معظمها فى التعليم — تتفق وكفاءاتهم. وقد استطاعت هذه الجمعية ان تجمع من التبرعات مايبلغ ٩٠٠٠ جنيه تنفق منها على المعوزين العاطلين من هؤلاء اللاجئين كما تبحث لهم عن وظائف يمكنهم ان ينفعوا بها وينتفعوا

ولكن اذا كان هؤلاء المبعدين اللاجئين سيحدثون اثرا حسنا فى الامم الديمقراطية بثقافتهم الاجنبية فهل هناك من يشك فى الاثر السيء الذى يحدثه غيابهم عن روسيا والمانيا وايطاليا؟

الفن في المعمعان

اذا وجهنا أنظارنا إلى الظروف الفنية من منتصف القرن الماضي إلى نهايته وجدنا أن النظرية التي تثير تجارب الفنانين في ذلك الحين هي نظرية « الفن للفن » وهي لم تكن إلا صدى التطور الاجتماعي العام الذي تلا انتصار حرية التجارة وإلغاء أغلب والقل الرسوم الجمركية في العالم وأما خصائص الحالة التي نجمت عن هذا الانتصار فهي من ناحية السياسة، الحرية النسبية المتروكة للهيئات حتى ولو هددت مبدئيا النظم القائمة، ومن جهة الفلسفة، نمو المذاهب التطورية التي تمثل بصورة صريحة أمزجة المجتمع المتفائلة واعتقاده في تقدم بشري لا حد له . ومن ناحية الفن إرضاء الفنان الفنان لكي يختار ما يشاء من الموضوعات ويتخذ أي سبيل يروقه في تكوين فنه بحيث لا يختلط فنه بالحياة الاجتماعية

وهذه النظرية المعروفة « بالفن للفن » مكنت الفنان من إصلاح وسائل فنه الداخلية، ذلك ما أحدثته الحركة التأثيرية في تجديد التقاليد الفنية ولكنها جعلت الفنان في عزلة تامة عما يجري في الحياة العامة . والذين أطلقوا سراح الفن من أسره هم أنصار الفكرة التكعيبية Cubisme فأحدثوا تغييرا جوهريا في بصيرة المجتمع .

ونحن نجد أن ثبات العيار الاجتماعي يعزى إلى قدرته في توسيع المضايق الاقتصادية ويعزى أيضا إلى استمرار بعض التصورات الذهنية الاجمالية . وكذلك يمكننا أن نذكر أن الفنانين التكعيبيين باعتنائهم على المصطلحات الابصارية العامة للجميع ادخلوا الفن في غمرة المواد الاجتماعية . ونفهم اليوم من تشكيل المدن الحديثة وأنوارها الوضاءة ومظهر عماراتها الذي جمع بين الاناقة والجفاء، أن المبدأ التكعيبي قد استوى على جزء كبير من الحياة المعاصرة . ومادام إتقان الآلات المتواصل قد سلك سبيلا لارضاء شهوات البشر الحقيقية فصح أن ترد حساسية الانسان ردا جديدا على عجائب الصناعة والعلم

فاذا ما انتهى القرن التاسع عشر حميت الحركة التى كانت تكون كل شىء بألوان نفسية وما إن طلـع علينا القرن الجديد حتى رجع الفنانون إلى الحقائق المجسمة وأخذوا يبنون عليها تجاريبهم الفنية ثم شرعوا بطبيعة تقدمهم فى معرفة المادة يقلبون جميع المدركات المنظورة القائمة على وجوه مختلفة . ومن ذلك الحين انشق الفن عن بقية المجتمع إذ تكونت له بصيرة خاصة متجهة إلى نظام مستقبل السكون بينما يتمسك المجتمع برموز الحياة الحاضرة والماضية .وكلما اشتدت الازمات الاقتصادية وازدادت الحالة خطرا فى البلدان الكبرى اتسعت رقعة الخلاف بين طليعة الفنانين والنفوذ الاجتماعى وأصبح البون بينهما شاسعا ونجد الان أن الحكومات الأتوقراطية قد وضعت يدها على العمل الفنى وراقبته مراقبة شديدة فلم تسمح له أن يتجه اتجاها لايناسب مزاجها السياسى

وللفنان أن يختار موضوع قضيته وأن ينضم إلى مطالبها وأن يقبل جميع عواقب موقفه هذا. والمثل الاعلى فى تحمل نتيجة فنه هو المصور الاسبانى الشهير « بابلو بيكاسو » الذى سخر عبقريته فى خدمة معتقده الجمهورى فصور بقوة نادرة بشاعة الحرب الاسبانية فأوجدت صورته الرئيسية « جيرنيكا » دهشة وتأييدا عظيما فى العالم كله (وقد نشرتها هذه المجلة فى عدد سابق)

وفى نفس هذا الموضوع خطب الأستاذ جوبلز ونحن معه فى الرأى قائلا : فى الوقت الذى نكتب السياسة روايات الشعوب ونضفى فيه القيم القديمة ونحل محلها قيما أخرى نقول أن ليس للفنان الحق أن يقف مكتوف اليدين أمام تلك الحوادث »

نعم أن للفنان حقا بل واجبا فى رفع صوته وفى الاشتراك فى المعمعان الاجتماعى ولكننا نعقد أن محله لا يكون إلى جانب الدكتور جوبلز وأنصاره بل هو يجب ان ينحاز إلى جانب كل شعب يجاهد فى سبيل خيره وسلمه وحريته



كيف نحب القريب؟

(للدكتور مزاريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاسبق)

ليست مبادىء الاخلاق الحديثة بنت اليوم ، بل قد نشأت عن الوصية القديمة التى قالها مؤسس المسيحية : « تحب قريبك كنفسك » . فمن هو قريبى ؟ اننا نتحدث عن المثل الاعلى فى الانسانية ، وأنا أقبله وأسلم به ولكنه فى نظرى ذو معنى مزدوج : فهو أولا وقبل كل شىء المثل الاعلى الرجولة الحقة فى الانسان ذاته . وثانيا هو تقديرنا لزملائنا فى الانسانية بالمعنى الواسع الذى لا يحده جنس ولون أو دين

ومحبة الانسانية تميل ، فى سهولة ، الى أن تكون مبهمة غامضة ، تملأ خيالاتنا أكثر مما تكون حقيقة راهنة . وذلك لان المحبة ينبغى أن تتركز فى موضوعات معينة بالذات . وليس يستطيع الانسان أن يحب جميع الناس على قدم المساواة . فاننا نختار ، ولا عيب فى هذا ، من يكونون موضع حبنا ، ولا بد ان يكون لمحبتنا هدف معين تتجه اليه .

وطبيعى أن تشمل محبتنا أولا الاقربين الينا فالاب والام والاخ والاخت والزوجة والولد — هؤلاء اقرباء لنا . ولعلنا لا ندرك الى أى حد نقدر أن نعين ونعمل فى هذه الدائرة الضيقة التى نحب أفرادها . فما علاقتك بالاقربين اليك ؟ ما أقل معرفتنا بهم أحيانا . وما أقل محبتنا لهم فى الواقع . وهذه حقيقة قد تصدمنا حين تتكشف لنا فكيف نحب من لا نعرفهم الا قليلا . ان أولادنا هم أقرب الناس الينا . وقد قيل « أكرم أباك وأمك » ومن الضرورى ان تضيف الى هذه الوصية « اكرم نفس ولدك . فكر فى الاجيال الآتية ! لتكن محبتك متبادلة » .

كذلك قريبة المرء هى زوجته ، كما ان قريب الزوجة هو بعلها . وهذه العلاقة الوثيقة بين الاثنين تتطلب الولاء والاخلاص فى الحياة اليومية . والزوجة مساوية تماما للزوج ، وليس ثمة الا فارق جسمانى لا معدى عن الاعتراف به ، وهو أن المرأة أضعف .

واذا كانت محبة الانسانية جماء فكرة غامضة مبهمة ، أفتكون أكثر ايضاحاً وأقرب الى الدقة في التعبير اذا قصرنا المعنى على الامة أليست فكرة الامة ؟ أليست فكرة الامة مبهمة وغامضة أيضاً ؟ انها أقل في التعميم من الانسانية ، لاشك في ذلك . ولكن فكرة الوطنية والقومية مبهمة غامضة في نظر الكثرة من الناس ، وشأنها شأن الانسانية سواء بسواء . وكم من أكاذيب وضلالات أدخلت علينا باسم الوطنية كما أدخلت علينا باسم الانسانية

والمحبة والانسانية ينبغى ان تكونا ايجابيتين . والناس احيانا يحسبون كراهتهم لامة أخرى كأنها حب لامتهم وشعبهم . وانه لاسمى وأرق ألا نحمل ضغينة ولا كرها ، وان نحب محبة ايجابية . ولست أريد هنا مناقشة الفكرة التى تزعم أن الانسان مستطيع أن يحب امة غريبة كما يحب امته ، فهذا يبدولى على أى حال غير طبيعى . ولكن اذا أحببنا امتنا ، واسرتنا ، وحزبنا ، محبة ايجابية ، دون ان يشوبها شىء من روح الكراهة والحقد نحو الآخرين ، فانه ينفتح امامنا عالم اخلاق جديد

وينبغى ان تكون المحبة عاملة نافذة فعالة ، أى أن نعمل شيئا لاجل القريب . على أن الهياج والجلبة والصخب ليست عملا ، فالعامل هو الذى يكون هادئا شاعرا بمسئوليته ، عالما الهدف الذى يرمى اليه . والناس فى هذا العصر يمدحون العمل فى كل مكان ، ولكن يفوتهم أن الانسان قد يعمل وهو فى حالة الجمود وعدم الحركة . ولقد قال ملتون الشاعر الانكليزى : « انهم أيضاً يخدمون ، الذين يقفون وينتظرون » ولا مندوحة لنا عن مراقبة الحوادث وتعيين الفرص ، فالعمل ليس المثل الاعلى ، ولا الغرض النهائى ، انما هو وسيلة فقط

والذى نسميه عملا هو عادة بعض الواجبات الحقيرة الصغرى التى نستنكف أداءها . وكلنا « رومانتيكيون » الى حد ما . نريد ان نكون ابطالا نتميز بعظائم الأعمال ، ونحب المغامرات والاشياء البارزة . ولكن كم من القواد والابطال ، وكم من أتيحت لهم الفرصة للقيام بعظائم الاعمال الباهرة ؟ نريد كلنا ان نكون زعماء ، ولابد أن يكون بيننا زعماء ، والزعيم ليس السيد المتسلط الآمر الناهى . ان الزعيم الصالح هو الذى يعرف كيف يخدم ويضحى . وبين الناس قليلون من أتيحت لهم الفرصة أن يضحوا بحياتهم . ومع ذلك فاننا كلنا نصور لانفسنا المواقف التى ترضى فيها بجعل حياتنا انتصاراً لقضية . وما هذه كلها الا اوهام وخيالات وأقوال . فالذى تتطلبه منا الانسانية ، واسرتنا ، وحزبنا ، وزملاؤنا ، هو العمل المنتج الهادىء

ايران الجديدة

امة حية يرشدها ملك عظيم

بقلم الاستاذ عبد المنعم حسن

اذا كان للهر هتلر ان يفخر بدمه الآرى ، فان لكتشل بهلوى — الشخصية الرمزية لايران — ان يزهو بآريته العتيدة ، فليست كلة ايران الا مرادفة ؛ بل اصلا لكلمة الاوربية « آرى » .

والايرانى اليوم اذ يضع على رأسه القبعة ويأخذ بآخر مظاهر المدنية لاتفرقه عن احدث الامم الاوربية وارقاها . ولا اود الكلام عن ايران القديمة ومجدها ، فذلك معروف ، موجود فى الكتب ، ولكننى اود التحدث عن ايران الحديثة ، مستندا الى مشاهداتى الشخصية واحاديثى مع كبار رجالها وفضليات سيداتها .

انوت الحرب الكبرى فى النفسية الايرانية اكبر تأثير اذ عانت ايران اعواما طويلة من الفوضى عقب تلك الحرب ، وكانت حدودها مسرحا للعصابات الاجنبية ، وارضها ورزقها مباحا للجنسيات المتباينة ، وضعفت حكومة ذلك العهد حتى اقتصر حكم الشاه احمد على طهران ، فزاد النفوذ الاجنبى حتى كانت سنة ١٩٢١ وظهر الرجل العظيم شاه احمد بهلوى ، وهو ضابط ايرانى ولد فى مازاندان سنة ١٨٧٨ ، فأخذ يناضل لانقاذ وطنه بقيادة الجنود الذين ظلوا مخلصين له ، فاجلى الروس بعيدا عن المنطقة التى كانوا يحتلونها ثم دخل طهران فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٢١ . وكان شعب ايران يرى هذه التطورات ويرقب نتائجها وهو ساكن ، هادئ ، يقظ كعادته .

وعين رضا خان وزيرا للحربية فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢١ ثم رئيسا لمجلس الوزراء فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٣ . وفى هذا اليوم نفسه رحل احمد شاه الى أوربا ، وانقضت الايام فى اصلاح وجهود جبارة ليس من السهل أن أرويها . فى هذا الحديث العاجل ، حتى كانت نهاية سنة ١٩٢٥ فاذا

بالشاه احمد يعلن عودته من أوربا ، ولكن الشعب الايرانى كان يتظاهر فى الشوارع متسائلا عن هذا الشاه الغائب ، فباغته الانباء فى يوم ٢٣ سبتمبر ، وكان مقرراً العودة فى يوم ٢٥ ، فعدل وبقى حيث كان . واجتمع البرلمان فى ٢٩ اكتوبر ووقف « نائب شاب » صار فيما بعد من رجال الدولة هو السيد دقر فاقترح خلع أسرة كاجار من العرش واسناد الحكم إلى رضا خان . وانصرف النواب على ان يتشاوروا فى هـذا الامر ثم عادوا الى الاجتماع بعـد يومين فاقترعوا على خلع كاجار وتأليف حكومة مؤقتة . وعين رضا خان وصيا بدلا من شقيق الشاه احمد الذى نق



صاحب الجلالة رضا بهلوى شاه

واجريت انتخابات جديدة لعقد اجتماع برلمان مكون من ٢٨٠ عضو. ثم اجتمع النواب في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٥ واقترعوا بالاجماع على اعطاء العرش للامبراطور الحالى الذى تولى العرش يوم ١٧ ديسمبر وفى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٦ احتفل فى قصر جولستان بتتويج الامبراطور ، فوضع رئيس الوزارة التاج الامبراطورى على رأس رضا شاه

هذا هو تاريخ ايران الحديثة فى كلمات ، فما هو دور رضا شاه بهلوى فى النهضة الحديثة بعد أن تربع على عرش ايران ؟

انى أحيلك على ما قاله الامبراطور نفسه إذ صرح لعالم فرنسى جليل كان يقوم بتحقيق علمى ، فى آسيا المسلمة فقد قال له « ان جهود حكومتى موجهة كلها لجعل ايران بلداً صناعيا وبناء سياستها الاقتصادية على أسس صناعية وقد بذلنا جهوداً كثيرة وسنبذل جهوداً أكثر منها لسعادة الشعب الايرانى ورقيه . من ذلك اننا نفكر فى اعطاء الزراع مساحات كبيرة من الارض . لقد كنت أفكر فى انه لابد من تغيير أساس الحكم ، فأردت أن أقيم فى ايران جمهورية ، ولكن الجمهورية للايرانيين ليست الا البولشفية ، أو شيئا يقرب من ذلك ، وذلك مالا يريدونه ، ولذلك انتهى بى التفكير الى أن اقبل عرش ايران »

هذه هى سياسة رضا بهلوى ، ولقد اكتسب إعجاب الدول ، فخطبت وده !

ووجه الامبراطور عنايته الى الصناعة . فمد الخطوط الحديدية ، وبدأ بالخط الكبير الذى أوصل قزوين بالخليج الفارسى ، ثم خط تبريز — تريبزوند

• وهبط النفوذ الخارجى وزال . ففى سنة ١٩١٩ كانت الجيوش الروسية تحتل تركستان وجزء من القوقاز ، وفى سنة ١٩١٠ وصلوا الى انزيلى فى ايران ، وأزاحوا الانجليز ، وكانت لهم من ذلك مآرب ، ولكن معاهدة سنة ١٩٢١ وضعت حداً لكل هذه المشاغبات

وكون رضا خان فرقا من الجندرمة . وألغى النظام القديم وحمل على العصابات والقبائل المشاغبة وانتشر رجال الجندرمة على الحدود فوطدوا الامن فيها ، فليست هناك اية عصابة ، بل هى آمنة كالعواصم الكبيرة وهذا اصلاح له شأنه ، فقد كانت هذه الحدود غير آمنة ، بل ان بعض البلاد الايرانية كانت خطرا على الامن بعد غروب الشمس

وزيدت على الجندرمة طوائف كبيرة من البوليس .. وفرضت نظم شديدة وضعت كل شيء في نصابه

وقد قل عدد الجرائم التي أصبحت نادرة في ايران .

أما الجيش فقد أدخل عليه رضا بهلوي اصلاحات جمة وهو من اصل عسكري ، فهو يتعهدها دائما بعنايته ونصائحه .

وقد استقدم بعثة عسكرية من فرنسا فنظمت المدرسة الحربية . ولو انك راجعت ميزانية ايران لوجدت الدفاع الوطني يستولى على ربعها . وهذه الاستحكامات كافية لحماية ايران من أي اعتداء أجنبي ، ونرجو أن لاتضطر ايران الى ذلك ، وأن تظل على صفاء دائم وسلام تام مع الدول الاخرى

وبخاصة تركيا والعراق وافغانستان وقد ابرمت معهن معاهدات الصداقة .

اما الامتيازات الاجنبية فقد الغيت بجرة قلم ، كافسخ العقد المبرم مع شركة الانجلو برشيان للبترول

الاستاذ عبد المنعم حسن

نظام الحكم

ونظم الشاه حكومته ، التي تتكون من ثمانية وزراء ، ورئيس الوزارة وثلاثة وكلاء للوزارات ، وهو يشرف على اعمالهم ويوجه سياسة الدولة بنفسه

أما البرلمان الايراني فعدد أعضائه ١٣٦ نائب يشترك في انتخابهم كل ايراني بلغ الحادية والعشرين (ولايشترك في الانتخاب رجال العسكرية والقضاء) ويشترط فيمن يرشح نفسه

للانتخاب أن يكون بالغا الثلاثين والا تزيد سنه على ٧٠ عاما وألا يكون من السلك العسكرى أو من كبار الموظفين المدنيين أو القضائيين وللبهود نائب واحد يمثلهم وكذلك للارمن نائبان ومدة النيابة عامان ويجوز اعادة انتخابهم إلا اذا تجاوزوا السبعين عاما ، وليس فى ايران أحزاب سياسية ولا معارضة

واذا كان اهتمام الشاه موجها إلى الصناعة فليس معنى ذلك أن الزراعة مهملة فقد وزعت على المزارعين قطع من الارض واعطوا البذور والآلات . وتشجع الحكومة زراعة القطن والطباق وغيرها

وتقدمت الصناعة الايرانية بحيث أصبحت منتجات ايران تكفيها مؤونة الطلبات الخارجية فأموالها تتداول فى داخلها . ونظمت شركات مساهمة كثيرة واستقدم خبراء أجانب للصناعات المهمة مثل الغزل والاسمنت والمصانع الكهربائية ومصانع السكر والنسيج . وهناك مشروع ضخم للصناعات المعدنية

وكان لابد لهذه النهضة الصناعية والتجارية من مواصلات منتظمة . فمد الشاه خطا حديديا بين قزوين وخليج العجم ويجرى العمل لمد خط حديدى بين طهران وتبريز

وقد رأى الشاه أن يعمل على اعداد الفنيين الايرانيين بدل الاجانب فى أقرب وقت فارسل بعثات الى أوربا وعاد كثيرون ممن أوفدوا وكانوا جماع الاعمال وأصدر الشاه أوامره بتعميم التعليم وجعله الزاميا ، فأنشئت فى كل المدن الايرانية مدارس ابتدائية وثانوية والتعليم العالى فى ايران يشمل الحقوق والطب والآداب والعلوم والهندسة والصناعات وكل الاساتذة فى هذه الكليات من الايرانيين عدا بعض الاساتذة الالمان واثنين من الفرنسيين

وتعمل الاكاديمية الايرانية الان على اعداد قاموس جديد للغة الايرانية بعد اخراج الكلمات الاجنبية الدخيلة على اللغة

تغيير الزى

وأخذ الشاه بروح العصر فقضى على الزى أو الازياء القديمة للرجال والنساء ، وأصبح الرجال يلبسون البذلة الافرنجية والقبعة والنساء يخرجن سافرات فى أزياء عصرية وعم ذلك كل بلاد ايران فلا ترى فيها اليوم سيدة محجبة أو زيا غير الزى الاوربى

منع الزواج باكثر من واحدة

وأصلح القضاء ، فعدلت القوانين المدنيـة ، وأعطيت المرأة حقوق الرجل ، وهى تتمتع اليوم بمركزها فى البيت كما أن لها دورها فى المجتمع.

ولم ينس الشاه الاصلاح الاجتماعى ، فمنع تعدد الزوجات . وهكذا أظهر جـلالته حزما وعملا سريعا . فحطم كل العقبات التى كان يخشى أن تعترض نجاح برنامجه الاصلاحى العظيم . وبث روح العمل فانشأ المصانع ومد السكك الحديدية ونظم الامن العام

وأثبت رضا شاه للعالم أن بلاده ليست متحفا للاثار القديمة ،ولـكن فى وسعها أن تعمل وتجارى العالم الغربى فى تقدمه وقد فعلت.

وليست إيران بالدولة المنعزلة عن العالم كما قد يتوهم البعض . فبينها ، وبين باريس ٧٠٠٠ كيلومتر وفى الاستطاعة الذهاب اليها بالطرق التاليـة : بالطائرة من باريس إلى بغداد ثم بالسيارة من بغـداد الى طهران وتستغرق هذه الرحلة من خمسة إلى ستة أيام.

وبالسكك الحديدية عن طريق روسيا ، أى من باريس إلى با كو عن طريق برلين ، فرصوفيا شبتونكا ، كيف (ومدة هذه السفرة خمسة أيام) ثم بالباخرة الروسيـة من با كو إلى بهلوى فى يوم واحد وبعد ذلك بالسيارة من بهلوى إلى طهران فى يوم واحد

وهناك طريق « ا كسبريس الشرق » من باريس إلى استـانبول فى ثلاثة أيام ، ومنها الى تل كوتشك ومن طريق انقرة فى ثلاثة أيام ثم . ارة إلى الموصل كيركون بالسيارة فى يوم واحـد ثم بالقطار الى خانيكان فى ١٢ ساعـة ويلى ذ. ـ سفرة يومين بالسيارة من خانيـكان إلى كرمان شاه وحمدان ثم طهران . أى عشرة أيام وهذا طريق أطول من الطريقين الاولين

وهناك طريق بحرى من مرسيليا إلى بيروت ثم يقطع المسافر صحراء سوريا بالسيارة إلى بغداد وهناك سيارات دورية مريحة بها أسرة للنوم ومطعم وتقطع المسافة فى ٣٠ ساعة وموعدها مرتان فى الاسبوع ويلى ذلك السفر من بغداد إلى طهران بسيارات منتظمة فى يومين وهذا الخط هو احتكار للحكومة الايرانية

اما الطريق من مصر الى ايران فعدة خطوط . فأما السفر بالطيـارة إلى فلسطين وتبلغها فى ثلاث

ساعات وخمس وعشرين دقيقة ، وتقدم شركة مصر للطيران خطا يوميا من مطار الماظه إلى أحيفا ومنها بسيارة الشركة إلى داخل المدينة فى ٢٥ دقيقة . ثم بالسيارة إلى بيروت فى ثلاث ساعات ويستغرق طريق البحر من الاسكندرية إلى بيروت يوما واحدا فى الباخرة. ثم يقطع المسافر صحراء سوريا إلى بغداد ثم بالسيارة إلى طهران كما قدمنا

وقد أصبح السفر من الهند إلى ايران متيسرا الآن فهناك خط جوى بين كراتشى وبغداد ثم السكك الحديدية والسيارات

ولعل من الظريف أن نقارن مواصلات ايران اليوم بما كانت عليه فى الماضى ، فقد أسس أول خط حديدى فى ايران أيام حكم ناصر الدين شاه . وكان طول هذا الخط تسعة كيلو مترات ويصل طهران بالشاه عبد العظيم

وقد قامت مشروعات كثيرة لانشاء خطوط حديدية كبيرة لتصل ايران بالخطوط الدولية ، ولكن هذه المشروعات ظلت راقدة حتى أتى رضا شاه بهلوى فنفذها دون أن يعتمد أى قرض من الخارج تخصص لها دخل احتكار الشاى والسكر ودخل البترول التى تستغله الشركة الانجليزية الايرانية . وجزىء المشروع على اجزاء طرح جزء فى مناقصة عالمية فاشتركت فى انشائه شركات من كل الدول . ويبدأ هذا الخط من بندر شاه وهى ميناء قزوين الشرقية وينتهى عند بندر شاهبور على الخليج الفارسى . ويبلغ طوله ١٤٣٥ كيلو متر . ويتخذ من سلسلتين هائلتين من سلاسل الجبال هى البوز فى الشمال وزاجروز فى الجنوب ويبلغ ارتفاعه عن مروره بالسلسلة الاولى ٢١١٢ مترا ويمتاز ١٠٨ قنطر

التجديد فى المجتمع الايرانى

واذا كان لكتشيل بهلوى ان يزهو بخلود شخصيته فان كاجى بابا (رمز اصفهان) ان يفخر القوميته . فقد تغير كل شىء فى طهران واصفهان وكل مدن ايران ، تغير الزى وتبدل طراز البناء وحلت المقاهى الموسيقية محل مقاهى الشاى القديمة ، ولكن شيئا واحدا بقى فى ايران الجديدة هو الروح الايرانية ، واللغة الايرانية ، وكل ماهو ايرانى الاصل . اما الزى ، واما طراز البناء، واما الكهرباء والطيارة ، فكل هذه من أساليب العصر فلا ضير ان يتبعها الانسان، بل ان فى اتباعها تأثيرا

كبيرا على تفكيره وتقدمه ، وانما العيب هو فى التخلى عن الروح القومية والتمسك بقشور بالية من العتيق . فما كان الزى فى يوم ما عنوانا لبلد او مفخرة لأمه .

ان ايران الحديثة لتغالى فى التمسك بقوميتها ولغتها . حتى انك لاتسمع لهجة اجنبية فى شوارعها ، وقد بلغ من الرغبة فى المحافظة على اللغة الايرانية ان حذفت منها الكلمات العربية واستبدلت بكلمات ايرانية .

وإنى لأرسم للقارىء فى هذا المقال صورة لطهران الحديثة ومافيها من آثار وكنوز ليتبين مقدار ماوصل اليه القوم من مدنيه مع المحافظة الشديدة على قوميتهم

تقع طهران عاصمة إيران على ارتفاع ١١٣٢ مترا على سفح جبل البورز وشمال الصحراء . وهى تبدو من الجو على بعد كبير كأنها واحة خضراء

ولم تكن طهران فى الايام الخاليه إلا قرية صغيرة من ضواحى راجى أو برتى فلما قضى المغول على معالم هذه المدينة سنة ١٣٢٠ اتسعت طهران وازدادت أهميتها لما بدأ الشاه عباس يعنى بأمرها وينشىء فيها الحدائق الكبيرة ثم جاء كريم خان فبنى فيها المبانى الحكومية

ولما ولى آغا محمد أول ملوك أسرة كاجار سنة ١٧٨٧ جعل طهران عاصمة لايران وقد بلغ سكانها ٧٠٠٠٠ نفس فى نهاية القرن الثامن عشر

وفى سنه ١٨٧٠ وسع ناصر الدين شاه العاصمة الجديدة وأحاطها بالقلاع . وبنى أبوابا هائلة مزخرفة أبدع زخرفة

وقد انهارت هذه الابواب تحت معاول التجديد فى الايام الأخيرة . وأسس فى عهد ذلك الملك جامع « سيبا هسلار » الذى حول الآن الى كلية للدين . وبنى بيت الوزير نظام الملك الذى يعد من أفخم المبانى الايرانية . وقد حول الآن الى مطعم اسمه « لوجانته » وله شهرة كبيرة فى تقديم أطباق « البولو » أى أكلة الرز الوطنية ، ولهذا البيت أو المطعم حديقة غناء وسطها حوض كبير وفى صالونه نقوش بديعة تمثل بحجم طبيعى شاه ايران جالساً على العرش يرأس اجتماعا لممثلى الدول الاجنبية الممثلة فى بلاط طهران

ومن آثار طهران البارزة القصر الملكى القديم لاسرة « كاجار » وقصر جولستان وحديقة

الأزهار . وقد بنى القصر منذ أكثر من قرن ويحيط به برجان مربعان مغطيان بالقيشاني الوردي والازرق . وهو مغلق الآن لا يستعمله الشاه الحالي . ولابد لزيارته من إذن خاص من البلاط الامبراطوري ومن البوليس

صور من العاصمة

ويكشف داخل القصر عن عجائب تاخذ بالبصر . وبخاصة قاعة العرش ، فهي مرصوفة بالقيشاني الوردي والازرق ، ومغطاة بالسجاد القديم ، واكثره من الحرير ، فهو يكون مجموعة نادرة في العالم مازالت حية الألوان والرونق

وتمتد على طول الجدران دواليب زجاجية تحوي كنوزاً ثمينة بينها الحلى الذهبية القديمة والاحجار النفيسة والآثار النادرة التي كان يتلقاها ملوك الفرس من الملوك الاجانب

وفي نهاية القاعة يقع عرش المغول القديم تحت سقف مذهب ومطعم بالاحجار وقطع الزجاج العاكس ويعد هذا العرش من أشهر آثار الدنيا كلها وله ثماني درجات من الذهب الخالص .وفروع من الذهب ، وأوراق من المرمر وأزهار صناعية من أنفس الاحجار الكريمة . ويمثل هذا العرش بُعبانا كبيراً زينت أجزاؤه بالاحجار الملونة وزين ذيله الفخم بأحجار حمراء تعلوها شمس صناعية من الجوهر ويجد الزائر أمام هذا العرش الأثري عرشا آخر ، على شكل مقعد كبير لا يقل عن الأول روعة وفخامة

وفي قاعة أخرى عرش ثالث من الرخام وهو عرش كريم خان ملك زند شيراز . ويقوم على دعامات نقشت عليها وجوه نسوية غريبة وأسود صغيرة

ويعد ميدان سيبا ، وسط طهران . وترجمة اسمه بالعربية « ميدان المدافع » وهو ميدان مثلث طوله ١٠٠ متر وعرضه ٢٥٠ مترا وتحيط به دور الوزارات ومباني الحكومة والبنك الامبراطوري لايران ويمكن تقسيم العاصمة الى قسمين يختلفان كل الاختلاف . ففي الجنوب تقع المدينة القديمة باسواقها ، وفي الشمال تقوم المدينة الجديدة التي تتسع وتكبر بسرعة كبيرة فان الشاه الحالي يسير في تنفيذا صلاحاته مسرعاً

وفي طهران الشمالية تجد الشوارع الكبيرة المرتبة على احدث النظم . وقد عمت الاضاءة الكهربائية حتى في الازقة كما عم التليفون الاتوماتيكي

ومن بين الشوارع العامة ، شارع سيا ، والشارع الملكى (كايان — اى شاه) وشارع الاليزار وبها المحال التجارية الكبيرة وهناك محال تجارية تملكها البلدية لبيع الصناعات التى تحتكرها الحكومة وبخاصة صناعة النسيج . وقد بنيت المبانى الحكومية الكبيرة وفق طرازين اساسيين . طراز من الاسمنت المسلح وعليه غطاء من الآجر الفاتح اللون . وطراز فيه روح العمارة القديمة

اما المنازل الخاصة فتبنى عادة من الآجر الفاتح اللون على انه مازالت فى طهران مساكن جميلة على الطراز الايرانى القديم ، سميكة الجدران ، دافئة فى الشتاء ، طلقة الهواء فى الصيف ، تحيط بها الحدائق العالية الاسوار

وفى العاصمة عدد كبير من الفنادق والمسارح والمقاهى ذات فرق الموسيقى ودور السينما الناطقة ، والسينما التهذيبية وتخضع الأفلام لرقابة حكومية شديدة . وفى ايران ٤٦ صحيفة و ٣١ مجلة

وتخترق العاصمة سيارات « الاتوبيس » والعربات ذات الخيول والسيارات الامريكية وعربات الماء النظيف الذى يباع على الابواب إذ أن مشروع المياه الصالحة للشرب ومشروع المجارى لم ينفذا بعد .

وأهم مايلفت نظر السائح المتجول فى طهران ، ولاسيما إذا كان هذا السائح مصريا ، هو أن كل الأسماء والدلالات المكتوبة على المحال التجارية هى باللغة الايرانية ، حتى لو كانت اوربية ، وهذا إجراء اجبارى فاستعمال اللغات الاجنبيه محرم حتى فى اعلانات السينما . واذا كتب أورقى الى أية مصلحة حكومية له علاقة بها بالفرنسية أو الانجليزية تلقى الرد بالايرانية .

والمعيشة غالية نوعا فى طهران وبخاصة أجور السكن . وقد درس بنك « ملى ايران » هذه المشكلة وهو يطبع نشرة باسعار الحاجيات . ولكن ماكان ثمنه مائة منذ عامين أصبح اليوم يباع با خمسين . و ير سو قطع ، وكل هذا راجع الى زيادة العمران فى ايران الحديثة الناهضة

ما المدينة القديمة فى طهران فازالت محتفظة بشرقيتها ، وبها بيوت جميلة ، وأسواقها عامرة الحياة ، وأقوامها يشربون الشاى فى مقاه كبيرة

لكن معاول الهدم تمشى الى هذه المدينة الاثريه لتقيم محلها مدينة جديدة ، هى روح العصر ، ورمز التقدم والنجاح

البيت والاسرة

مرسوم لكتاب مضمر

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

رق الاجتماع المصرى . وحضارة الامة المصرية . وسعادتنا وقوتنا وثقافتنا ومستقبلنا — كل ذلك يتوقف على شيئين: أولهما معالجة الحرمان الذى يعانيه تسعة أعشار الأمة برفع المستوى الاقتصادى للفلاحين والعمال والوسائل لذلك كثيرة متعددة . والثانى هو تنظيم الأسرة والبيت وهذا موضوعنا الحاضر

وقد كانت النية ان نقتصر على مقال أو مقالين فى هذا الموضوع . ولكن ماهو ان بدأنا فيه حتى تشعب وبرزت تفاصيله واتضحت خطورة بعض نواحيه . ولذلك أرى أن أضع هذا الترسيم التالى لكتاب يمكن أن يؤلف بالفصول الآتية :

١ — فى أول فصل يجب أن نبين ان من أسمى غايات الطبيعة تأسيس الأسرة وانا حين نرجع الى أبعد الأطوار نجد ان السمك قد عرف الأسرة التى كانت بعد ذلك وسيلة الى نشوء كثير من الصفات الأخلاقية العالية فى الحيوان . ثم كان الاجتماع فى الانسان فكان التطور أيضاً يسير نحو تأسيس الاسرة . حتى ليمكن ان يقال ان الاسرة الراقية هى عنوان الجماعة او الامة الراقية . والمسكان الاول للحب والرحمة والتعاون والتضحية هو الأسرة سواء فى الحيوان والانسان

٢ — ثم نشرح الفرق العظيم بين الحيوان الذى لايعرف الأسرة . وهو يعيش منفردا وأحيانا لايعرف حتى الأنثى التى يلقحها وبين الحيوان الذى عرف الاسرة . فى الحال الثانية نجد الاخلاق التى تؤدى الى الفضائل . ونجد التعاون

أما عند الأول فنجد التنازع . والاسرة هى أساس الاجتماع فى الانسان . وهى بهذه المثابة أساس

الذكاء فما فينا من كفايات أو اخلاق إنما يرجع فى النهاية الى الاسرة التى جعلت الاجتماع ممكنا . وانحلال الاسرة فى الانسان يؤدى الى انحلال الاخلاق فى أفراد هذه الاسرة

٣ — بعد ذلك نبحث عن السعادة ولسنا نقول انها الغاية الوحيدة للانسان ولكن نقول انها واحدة من أسمى غاياته . وان الاجتماع الحسن يجب ان ينشدها لجميع أفراده ويوفرها. والانسان فى صميم كيانه حيوان إذا كفل له المأوى والطعام والانثى صار سعيدا . وقد تكون هذه السعادة بدائية غشيمة . ولكنها حقيقية

وهى تكفل أطمئنان الفرد وسكونه الى الاجتماع المحيط . وهذه الاشياء الثلاثة — المأوى والطعام والانثى — لاتتوافر الا بالاسرة . ولا ترق الا فى الاسرة الراقية . والاجرام بعيدمع توفير هذه الشروط

٤ — ثم نبحث بعد ذلك الوسط السىء الذى يعيش فيه الصبى المحروم من الاسرة أو الذى يعيش فى أسرة مفككة . قد مات أبواه . أوقد انفصل كل منهما من الاخر أو قد ارتبط أحدهما برباط خارجى . فان مثل هذا الصبى تتشتت عواطفه وهو لايجد من الحب والعناية فى البيت المقدار الذى يربطه به ويجعله يحفل بحرمة البيت ويستحى من ارتكاب الجريمة أو الرذيلة

٥ — وهنا يجب أن نشرح قيمة الاسرة فى الاخلاق . فان الاسلوب السلوكى أو الاخلاقى الذى ينشأ عليه الطفل فى السنوات الاربع أو الخمس الاولى من عمره يثبت فيه ويعتاده سائر حياته حتى ولو بلغ السبعين . فيجب أن يلقى فى البيت حبا ومعونة . وتعليما وعناية حتى ينشأ وهو يعامل الهيئة الاجتماعية ويحبها كما عامل أفراد أسرته وأحبهم لانهم أحبوه

٦ — يجب ان نشرح الظروف التى تعيش فيها الاسرة المصرية ونقابل بين هذه الظروف ومايقابلها عند الامم الاخرى . وهذه الظروف اقتصادية وثقافية .

٧ — بعد ذلك يجب أن نرصد فصلا للحماة التى تشق مئات بل الوفا من الاسرة هذه العجوز التى تتسلط على البيت ولاتطيق رؤية منافسة جديدة تقاسمها حب ابنها

٨ — يجب أن نبحث الضارة فى مصر واثرها فى افراد الاسرة وخاصة فى الاطفال

٩ — ثم نبحث بعد ذلك هذه العادة الفاشية فى بعض الطبقات بيننا وهى حفلة الزار . ومغزى هذه الحفلة من الناحية السيكلوجية وكيف نفسر بهذه الحفلة على الاجتماع المصرى الحاضر

١٠ — ثم يجب ان نعرض لقوانين الزواج والطلاق فى مصر والامم الأخرى وقيمتهـا فى التأصيل البشرى

١١ — بعد ذلك يجب أن نعقد فصلا للتمييز بين حق الزواج وحق التناسل . وهـذا التمييز قد جرت عليه بعض الامم وخاصة الفاشية

١٢ — وقد يرى البعض أن نتفكه بذكر تلك العادة التى فشت بين اسلافنا الفراعنة وهى زواج الأخت . وقيمة هذا الزواج من الناحية اليوجنية أو الاجتماعية عند الفراعنة

١٣ — وهنا نرى من الضرورى أن نبين قيمة الاسم للاسرة . هذا الاسم الذى حتمت تركيا على ابنائها اتخاذه . فان للاسم قيمة كبيرة فى تاريخ الاسرة وزيادة كرامتها ومايجر فى أثره من التبعات التى تعود بالفائدة العظمى للاسرة وللامة

١٤ — وكل ماسبق انما يختص بالاسرة ولكن البيت هو الصدفة التى يعيش فيها أعضاؤها فيجب أن يلقى من العناية والرعاية بعض ماتلقى الاسرة . ويجب أن يكون للبيت حرمة فيحاط بالحماية حتى لايباع ولايحجز عليه للبيع ولاينقل لغير ورثته . وإذا كان اسم الاسرة سيعيش مئات السنين فيجب أن يعيش البيت مثل هذا العمر

١٥ — وهنا يجب ان نقارن بين الاسرة والبيت . فكل اسرة بمثابة السلالة المنفصلة بعض الشيء من الامة ونحن حين نذكر الاسرة نتخيلها كما هى الان فى هذا العام . ولكن الاسرة بعد أن نحوطها بالشروط التى ذكرنا ستمتد إلى الف أو الوف الاعوام . لها اسم ولها بيت لاينفصل من الاسم . ولها تاريخ ولها صور وتماثيل فى هذا البيت وذكريات تحرض على المجد والشرف والسمو البشرى

١٦ — ولنا هنا كلام عن اثاث البيت كيف يكون فى هذه الاسرة . فان البيت هنـا يجب أن يكون متحفا لايدخله شيء الا وعليه طابع المتانة ومن اعلى الاطرزة لانه ليس بيتا يتغير عاما بعد اخر يؤجر او يستأجر . ولا هو بيت هذا العام ولا هذا القرن بل هو بيت يرافق الاسرة فى تاريخها الماضى

والحاضر والمستقبل ولذلك لايمكن ان نتهاون فيما يدخله من اثاث.

١٧ — ولكننا إلى الان لم نتحدث عن المرأة ومقامها فى هذه الاسرة وحقوقها فى هذا البيت. ولكن ليس شك ان المرأة هى سيدة هذا البيت لها حقوق السيادة وعليها واجباتها.فكيف تكون مثل هذه المرأة؟

•••

هذا هو الترسيم لكتاب نتوخى أن يؤلف عن الاسرة والبيت .

وقد يقال هنا اننا قد خرجنا فى هذا الترسيم عن المقترحات العملية التى يمكن الأخذ بها فى مصر وتجاوزناها الى خيال يبعد تحقيقه . ولكن الاختبار يدل على أن الغاية البعيدة التى ترسم المثل الاعلى هى التى تبعث على العمل المفيد . إذ لابد من الطموح والتشوف إلى المستقبل ويجب أن نعلق اصلاحاتنا بابعد غاية وأن لم يتحقق منها سوى القليل حتى لانطمئن إلى هذا القليل بل نبقى على الدوام ونحن مثابرون على التطور . أو بكلمة أخرى يجب أن نجعل الخطة العملية موجهة الى غاية ترشدها خطة نظرية تحث على النشاط والهمة وتبعث على الدرس الذى لاينقطع

للوطن

قبل ست سنوات اعلنت إحدى الهيئات الوطنية فى انجلترا انها تدفع مكافأة قدرها الف جنيه للمهندس، الذى يمكنه ان يبنى منزلا قد عينت مساحته وطبقاته بحيث لايحتاج فى بنائه الى استعمال اى مادة اجنبية . وهذا بالطبع لتشجيع الصانعين الانجليز على القيام بصنع جميع مواد البناء وقد بنى هذا المنزل هذا العام ونال احد المهندسين هذه المكافأة . فلنتعظ

السلام العالمى

للسيدة هدى شعراوى

السلام العالمى أمنية غالية تبدو للمتفائلين عزيزة المنال الا أنها ممكنة التحقيق . لذلك يجدهم لايألون جهداً ، ولا يدخرون وسعاً فى السعى وراء تحقيقها والعمل على توطيد السلام . أما المتشائمون —ومعظمهم من النفعيين مع الأسف— فانهم يؤكدون أن السلام حلم من الأحلام — . وهم يزعمون أن الميل الى الحرب غريزة فى الانسان بدافع تنازع البقاء . ويدعمون نظريتهم بأن الطبيعة لم تختص النوع البشرى وحده بهذه الغريزة ، بل شملت بها نوع الحيوان الذى يفترس قويه ضعيفه بما وهبته من سلاح طبيعى . وبناء عليه فالحرب لامفر منها ولاعلاج لها . وان فكرة إبطالها والسعى وراء توطيد السلام فكرة خاطئة نشأت عن توهمات الخياليين الذين يعيشون فى الاحلام بعيدين عن الحقائق ومع أن كل المظاهر — مع الاسف — تدعو الانسان الى التسليم كرهاً بالكثير من نظريتهم الا انى مع هذا أفضل الأخذ بنظرية أهل الخيال لأنها هى وحدها الجديرة بالانسانية السامية الرقيمة كما انها هى التى تفسح للناس مجال الامل فى هذه الحياة الفانية . والأمل ضرورة من ضرورات الوجود وأن لاحياة بلا أمل . والظمآن اذا سار خلف السراب فى طلب الماء كثيرا مايسعده الحظ بالوصول الى مايطفىء ظمأه . والا كان الأمل على الأقل دافعاً له الى الصبر والمثابرة فى المضى وراء الغاية .

منى ان تكن حقاً تكن أسعد المنى   والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

فاذا قارنا بين نظرية المتشائم الذى يقطع علينا سبيل الأمل فى السلام ، ونظرية المتفائل الذى ينشد السعادة من طريق السلام ، واعتقدنا مع جماعة المتفائلين أن السلام وإن كان عزيز المنال إلا أنه ميسور التحقيق ، وجب علينا حينئذ أن نبحث عن الوسائل التى تؤدى بنا الى تحقيقه وتوطيد دعائمه

معتمدين على حسن نيتنا وقوة إيماننا ، لتذليل كل الصعاب التي تعترض المجاهدين في سبيل السلام مهما لقينا في هذا السبيل ، من سخرية المتشائمين ومعارضة المغرضين

على المرء أن يسعى الى الخير جهده   وليس عليه أن تتم المقاصد

أما المقارنة بين الانسان والحيوان لتقوية حجة مؤيدي الحرب ونظرية داروين فهي ، قياس مع الفارق ودليل ضعيف على صحة هذه النظرية ، للتعاون العظيم بين النوع البشرى والحيوان في الخلق والاستعداد . ولو أن الطبيعة قد وهبت الحيوان سلاحاً طبيعياً ، إلا أنها غرست فيه الالهام باستعمال هذا السلاح في حالتي الجوع والدفاع عن النفس فقط ، لأنها خلقته ضعيفاً محدود الادراك غير مسئول إلا عن نفسه . أما الانسان فقد فضله الله سبحانه وتعالى على باقي مخلوقاته ، وتفنن في ابداعه وخصه بمميزات رفعت من قدره ومرتبته عن باقي الكائنات ، أهمها العقل ، والذاكرة ، والنطق ، وأعطاه بذلك مقاليد أمور الحياة ، ووضع عليه مسئوليات تصريفها ، وجعل من هذه المميزات سلاحه وقوته والدليل على ذلك ان الحيوان يولد مجهزاً بالأسلحة اللازمة لضمان حياته ، فهو يحقق بمخالبه وأنيابه ، ولا يكاد يحتاج منذ ولادته الى معين في السعي وطلب القوت ، والطفل ، فيحتاج منذ ولادته لرعاية والديه وتعهدهما له في غذائه ، والعناية بمراقبته ، والطفل كذلك الذي تتكون مداركه شيئاً فشيئاً ، ويبلغ السن التي يستغني فيها عن معاونة غيره ، والاعتماد على نفسه ليقوم هو بدوره ، في اسداء المعونة لأمثاله في الحياة الاجتماعية . لذلك يرى المتفائلون بحق أن الانسان مخلوق اجتماعي لا يمكنه أن يعيش بمفرده ، بل لابد له من التعاون وتبادل المساعدة بينه وبين بني جنسه ، بل بينه وبين سائر المخلوقات . وقد خلقه الله لرقى الكون وعمرانه لا للهدم والتخريب فهو لذلك دائم الطموح الى أسمى درجات الكمال . وكثيراً ما يكبو الطامح في طريقه الى الغاية .

ولكن ما كانت هذه الكبوات دليلا على أنه سيبوء بالفشل فلا بد له إذن من استئناف خطواته الطبيعية ، والمضى في سبيل الخير . وهذه الفكرة هي التي تحدو بأصحاب المثل العليا الى الاستمساك بحبال الامل في تحقيق فكرة السلام ، لاعتقادهم أنه بفضل الترقي والتقدم ، لابد أن يسمو الانسان على مطامعه ويرتفع فوق ميوله ومصالحه الخاصة . فتتحول غريزة القتال لديه الى قوة انشائية منظمة تساعده على أداء رسالته المثلى للمجتمع ، وبذلك سينتهى به هذا التدرج حتماً الى وضع نظام جديد،

يضمن للعالم سلامة وطمأنينته ، وأى وقت أنسب للعمل على تحقيق هـذه النظرية العملية من وقتنا هذا ، الذى لاتقتصر فيه مضار الحرب على المتحاربين، بل تتعداها الى الآمنين ، ويتأثر بنتائجها العالم كله ، لما أصبح بين الدول من مصالح مشتركة وارتباطات دولية تضطر الصغير منها والكبير ، الى خوض غمار الحرب فيخرج الجميع منها بسبب الاختراعات الجهنمية الحديثة،منهوكى القوى خاسرين، إلا فئات محدودة تذكى نار الحرب ولا تكتوى بأوارها ، لأنها تستغلها فى تنفيذ مآربها وغاياتها . وأى دليل على قولنا هذا ، أصدق من نتائج الحرب العالمية الكبرى التى ما زال العالم يرزح تحت أثقالها ، بما خربت من مدن عامرة وبما خلفت بين الامم من ضغائن ، وبما ألحقته بالتوازن العالمى من اختلال شديد الخطر ، حتى أصبح العالم يعيش على فوهة بركان يكاد أن ينفجر عند حدوث أية أزمة دولية . فمن مخلفات الحرب العظمى ، ماتقاسيه الانسانية اليوم من أزمات اقتصادية ، وحروب داخلية ، ومطامع استعمارية لاحد لها ولا وازع يصدها إلا اللين والتعدى على الضعيف ، والاستهتار بالارواح البريئة والحقوق المشروعة .

* * *

ليست فكرة السلام وليدة اليوم ، بل هى فكرة نشأت منذ القدم فى عصور مختلفة عقب الحروب المتوالية المنهكة ، لميل الانسان الطبيعى الى الهدوء ، وحاجته الى الراحة والطمأنينة . فنى زمن الفراعنة حاول اخناتون التمهيد لبث روح السلام ، ومساواة الولايات الخاضعة له فى المعاملة والحقوق ، وتوحيد العقيدة الدينية بأن الشمس هى مصدر الحياة للجميع . ولكى ينفذ هـذا المشروع ، نقل العاصمة من طيبة الى تل العمارنة التى بناها ليقيم فيها على نظم جديدة تناسب الحياة الجديدة ، التى كان يهيئها لبلاده ، فازدهرت فى عصره الفنون والصنائع . ولكن مع الاسف بينا كان يدعو هو الى بث روح التآخى وتوطيد السلام فى ترتيله للاله آتون ، كان أمراء سوريا والولايات التابعة لمصر ، يتغنون بالاناشيد الثورية ، فهال الكهنة والوزراء هذا الانقلاب فثاروا عليه وبثوا روح التمرد فى الاهلين . وكان كلما نبهه رجاله الى الخطر المحدق ، يقول « دعوا السيف فى غمده . من حمل السيف مات به » وأخناتون هو حمو الملك توت عنخ آمون الذى اكتشفوا فى قبره أجل الآثار المصرية ، وأبدعها رسماً وأدقها صنعا .

وفكر من بعده اسكندر الاكبر فى نشر السلام ، بانشاء التعاون بين الاغريق وغيرهم من أمم الشرق ، على أساس المساواة . وفى عصور مختلفة ظهر رجال مفكرون وفلاسفة أوقفوا أفكارهم وجهودهم على خدمة السلام،منهم أفلاطون ، وشيشرون ، وماركس أورليوس امبراطور رومانوغيرهم من الذين كانوا يعتقدون أن الحرب اجرام ووحشية .

ثم ظهر الدين المسيحى ، ونشر بتعاليمه السامية روح التسامح والتضحية بين الناس . وكان قصد العناية الالهية منه ، أن يرفرف السلام فى العالم ، وأن تعم أركانه السعادة والصلاح . ولكن هذه المبادىء الكريمة التى تحث على الاخاء والوئام ، لم ترق فى أعين اليهود فقاوموا المسيح ، وأشعلوا نار الفتنة ضده بين شعب الرومان الملحد اذ ذاك فحكم على المسيح بالصلب وعلى أنصاره بالاضطهاد ، فرفعه الله اليه ليكون آية للعالم فى التضحية ، والتفانى فى اعلاء كلمة الله ونشر السلام على الارض .

فاذا أنصفنا الحقيقة والتاريخ ، قلنا ان جميع الاديان حثت على التسامح ونشر روح الاخاء ، الا أن المسيح يعتبر أول واضع لاسس السلام والتسامح على الارض ولكن مع الاسف أساء بعض الرؤساء الروحانيين فهم تعاليم المسيح ، ولم يعملوا على اقامة صرح التعاون والمحبة بين البشر ، على الاساس المتين الذى وضعه . وسادت روح التعصب الدينى القرون الوسطى المظلمة ، وكان من أثر ذلك تلك الحروب الصليبية التى سموها حروباً مقدسة ، وذلك التعذيب الرهيب الذى كان يقوم به رجال التفتيش للقضاء على مخالفيهم فى العقيدة والرأى ، مما لا يغيب على كل العارفين بالتاريخ .

وفى مثل هؤلاء ، يقول شاعرنا الكبير شوقى رحمة الله عليه :

عيسى سبيلك رحمة ومحبة ... فى العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفاك الدماء ولا امرأ ... هان الضعاف عليه والايتام
يا حامل الآلام عن هذا الورى ... كثرت عليه باسمك الآلام
أنت الذى جعل العباد جميعهم ... رحماً وباسمك تقطع الارحام

وفى أوربا بدأت فى سنة ٩٩٠ أول حركة فى سبيل ما أطلقوا عليه اسم هدنة الله Térve de Dieu وذلك بتشكيل المجمع Conseil du Puy الذى تكون من عصبة جمعت بين النبلاء والفلاحين الذين تعهدوا باحترام ميثاق السلام واكتملت هيئة هذا المجلس سنة ١٠١٦ باجتماع

فيردون سيرسون Verbun sur Saone وتعهد أعضاؤه أن يحترموا فى أوقات الحرب الزراعية والحيوانات الاليفة والاموال والكنائس . وفى سنة ١٠٣١ اجتمع مجلس ليموج limoge الذى اقترح فرض الحجر الدينى على كل اقليم لايحترم هذا الميثاق بتشكيل هيئة نظامية أسقفية لترغم كل من يخرج على هـذا الميثاق باحترام السلام . وفى سنة ١٠٥٤ انعقد مجلس كليرمون وفى ١٩ نوفمبر سنة ١٠٩٥ اعلن البابا اوربين الثانى كقانون عام للعالم المسيحى ان السلام هو غاية الله . ولكن هذه الروح الطيبة تضاءلت أمام الحروب الصليبية ، إلا أنها كانت تعود للظهور فى كثير من أوقات المدنة فى عقول المفكرين والفلاسفة أمثال « دانتى » و « بييرديبوا » . فقد لاحظ « دانتى » انقسام العالم الى اجزاء متعددة ، لاغاية لها سوى الحرب والقتال ، فأراد القضاء على هذه الحالة بتوحيد العالم ونشر السلام فى أرجائه . فوضع كتابا عن « الملكية » واقترح فيه اتحاد دول العالم المختلفة تحت رياسة ملك واحد . وفى داخل هذا الاتحاد تحافظ كل دولة على استقلالها الداخلى ، وتعترف بسلطة هذا الملك فى فض كل نزاع ينشأ بينها وبين غيرها من الدول المشتركة فى الاتحاد . وبذلك يتحقق السلم الدائم لسعادة الانسانية ورخائها . أما « بيير ديبوا » فقد رغب فى تنظيم العالم المسيحى فقط . ولذلك اقترح انشاء مجمع دينى يدير الشئون العامة المتعلقة بالجماعة المسيحية مع احتفاظ كل دولة مسيحية باستقلالها . فاذا نشأ خلاف بينها وجب حله بطريق التحكيم واذا امتنعت دولة مسيحية عن الخضوع لهذا المجمع ، وجب تطبيق عقوبات عليها ، فتحاصر وتمنع الواردات عنها حتى تذعن بفعل الجوع

ولكن اقتراحات دانتى وديبوا لم تخرج الى حيز التنفيذ وظل الانقسام موجوداً والفوضى سائدة وظهرت الدول الحديثة ، واستندت الى مبدأ السيادة المطلقة ، وأنكرت التعاون بينها وتنازعت البقاء فظهر نظام التوازن الاوروبى القائم على الميول الفردية المحضة لكل دولة بذاتها وأصبح قبلة تلك الدول ، فزال كل أمل فى توحيد العالم واخضاعه لسيادة واحدة ، وتبخرت غاية القرون الوسطى وحلت محلها غاية الاثرة والمنفعة والسيادة .

وتطورت أوربا بعد ذلك تحت تأثير عصر النهضة « الرنيسانس » فنشأت فكرة الاصلاح الدينى ، والثورة ضد الكنيسة الرسمية فزادت عوامل الفوضى والانقسام وتعددت الحروب الدينية

ودامت قرنا كاملا ، حتى انتصرت فكرة الاصلاح فى النهاية فى أواسط أوروبا وغيرها ، وكان انتصارها قضاء مبرما على ما تبقى من وحدة أوروبا .

وهكذا سادت الحروب المتعددة القرن السادس عشر والسابع عشر ، وأنتجت فى النهاية ثورة فكرية فى سبيل السلام ، وأبرزت طائفة من المفكرين والفلاسفة أمثال ديكارت وهوبز وسبينوزا وليبنتز الذين حاولوا اقامة نظم فلسفية ، ووضع أساس نظرى للحرية الفردية والحرية السياسية .

وظهرت مؤلفات كثيرة حاول واضعوها خلق نظام جديد لتحقيق السلم العالمى . ومن بين هذه الكتب كتاب « تقريظ السلم » الذى صور فيه مؤلفه خسائر الحروب وفظائعها ، وأظهرت حسنات السلم وفوائده . وكذلك كتاب LeNouveau Cynee لأمريك كروسيه فقد بحث فيه عن اقامة نظام دولى يحقق ومبدأ السيادة المطلقة فاقترح انشاء جمعية دولية تجتمع فى مدينة البندقية ، وتشترك فيها جميع الدول بغض النظر عن الاديان لما بين الدول المختلفة من روابط التضامن التى تحتم عليها جميعا ، العمل على استتباب السلم وتوطيد اركانه . وذلك بفض جميع المنازعات التى قد تنشأ بينها ، بالطرق الودية وبدون الالتجاء إلى الحرب . ومن بين هذه المؤلفات المؤلف الذى وضعه L'Abbé St. Priere واقترح فيه مشروعا لتحقيق السلم اتدا بعقد معاهدة بين الدول لاقامة تحالف دائم بينها والاتفاق فيه على استنكار الحرب ، وعلى حل منازعاتها المختلفة بطريق الوساطة . وفى حالة فشل هذه الوساطة ، تتجه الدول الى هيئة مكونة من الممثلين السياسيين للدول الحليفة ، كى تلزم الدولة المعتدية باحترام الحكم الصادر عليها . فاذا رفضت التنفيذ وجب على هذه الهيئة ، أن تستعمل القوة ضدها حتى تنزل على حكمها ، وتعوض الخسائر الناتجة من عملها .

اعقب ذلك الثورة الامريكية والثورة الفرنسية التى نصت فى دستورها الصادر فى مايو سنة ١٧٩٠ على تنازلها عن الدخول فى حرب مقبلة وعن عدم استعمال سلاحها فى وجه حرية أى شعب . ولكنها لم تلبث ان أعلنت الحرب على النمسا فى ٢٠ ابريل سنه ١٧٩٢ . وتلتها حروب الجمهورية وبعد انتهاء هذه الحروب وسقوط نابليون ، وضع مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ نظاما جديدا فى أوربا يستند الى مبدأ التوازن وانشاء مجتمع الدول الأوربية (Uu concert Europeen) للمحافظة على النظام الموضوع . وكان القيصر اسكندر الاول قيصر روسيا هو أول من قدم اقتراحا بنزع السلاح

فى سنة ١٨١٦ وبعده تألفت ثلاث جميات سلمية فى الولايات المتحدة وهى جمية الصداقة المسيحية وجمية نيويورك للسلم ، وجمية ماساشوستس للسلم . واندمجت هذه الجميات معاً فى جمية واحدة تحت اسم الجمية الامريكية للسلم سنة ١٨٢٨ وكان لهذه الجميـة اثرها فى انتشار فكرة السلام فى أميركا وبريطانيا وفرنسا . وتبع ذلك مؤتمرات عدة عقدت فى باريس ولم تأت بثمرة .

واجتمع أول مؤتمر للسلم فى بروكسل سنة ١٨٤٨ وتلاه مؤتمرا باريس ولندره . واتفق فى هذه المؤتمرات على انشاء جميات سلمية جديدة ، ومنع القروض الحربية ، ونشر معاهدات التحكيم بين الدول ، وتخفيض التسلح ووضع قواعد للقانون الدولى

وفى سنة ١٨٥٥ ألف الكاتب الروسى الشهير « ليون تولستوى » كتابه «سباستبول» ضمنه وصف حصارات تلك المدينة فى اثناء حرب القرم . ثم كتب بعده كتاب (الحرب والسلم) وهو بمثابة احتجاج على الحرب . وبقى تولستوى طول حياته يجاهر بأن القوه لاتعالج بالقسوة ، بل يجب أن تنفذ وصية الأنجيل : « من ضربك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر » ولقد كان لهذا الكاتب العظيم تأثير كبير فى حركة العصيان المدنى التى قامت فى روسيا .

وفى سنة ١٨٨٩ ابتدأ التنظيم الدولى للافكار السلمية ، وعقدت المؤتمرات العديدة لهذا الغرض بعد انشاء مكتب السلم بمدينة برن سنة ١٨٩١ . واقترح بعد حرب السبعين انقاص التسلح عدة دفعات ، فى برلمانات انجلترا وفرنسا ، ثم عقد مؤتمر السلام فى لاهاى سنة ١٨٩٩ بناء على عودة القيصر نيقولا الثانى وطرحت فيه مسألة انقاص التسلح ، ولكنه لم يسفر الا عن التصريح الآتى وهو «يرى المؤتمر ان نزع السلاح الذى أثقل كاهل الأمم أمر مرغوب فيه جد الرغبة لسعادة العالم المادية والمعنوية » . ولم يكن لهذا المؤتمر أى تأثير ولا نتيجة ، ولم تكد أعماله تنتهى ، حتى بدأت الحرب بين بريطانيا العظمى وجمهوريات ترنسفال واورانج فى جنوب افريقيا فى اكتوبر سنة ١٨٩٩ بل اضطر القيصر نفسه أن يجرد جيوشه لرد غارة اليابان على منشوريا فكانت الحرب قاسية بين الفريقين (١٩٠٤ — ١٩٠٥) .

وعقدت بعد ذلك مثل تلك المؤتمرات بواشنجطن سنة ١٧٩٩ والمكسيك سنة ١٩٠٢ وريو دجانيرو سنة ١٩٠٦ وهكذا تدرجت الأفكار السلمية وارتقت . وبعد ان كانت قاصرة على الاحتجاج

الأدبى على الحروب ، تحولت الى مجهودات وضعية لاقامة نظام دولى ذى صيغة اجتماعية ، الغرض منها ضمان حياد الشعوب والدول ، وتعاونها على أساس السلم والقانون ، وجعل التحكيم هو الوسيلة لفض المنازعات الدولية .

فعقد فى لاهاى سنة ١٩٠٧ بناء على دعوة الولايات المتحدة ، المؤتمر الثانى للسلام ، وكان أوسع نطاقا من مؤتمر سنة ١٨٩٩ اذ حضره مندوبو ٤٤ دولة أى جميع دول العالم المتمدينة تقريباً ، وتمت فيه اتفاقات عديدة خاصة بحق الحروب وبداية الأعمال العدائية فى الحرب . وعقد كذلك مؤتمر للسلم فى بونوس ايرس سنة ١٩١٠ .

وبالرغم من المؤتمرات التى عقدت فى القرن التاسع عشر للسلام ، والوسائل التى درست لفض المنازعات الدولية على اساس السلم ، وبالرغم من الجمعيات المتعددة التى انشئت لوضع القانون الدولى واستيفائه ، فان ذلك كله لم يمنع نشوب الحرب العظمى ، التى اشترك فيها العالم كله تقريبا ، ومازلنا نعانى نتائجها المرة حتى الآن .

على أن ما عاناه العالم مدة الحرب العظمى من الكوارث المتنوعة لم يثبط همم العاملين ، بل ضاعف من نشاطهم فى الاستمرار على الدعوة للسلام ، ودفع المفكرين الى استنباط الطرق الفعالة التى تؤدى الى استتبابه . فتكونت منهم جماعات مختلفة تخدمه ذلك الغرض . منها لجنة بريس فى انجلترا سنة ١٩١٧ التى وضعت مشروعا لمنع الحروب ، وكونت جماعة أسمتها عصبة الامم فى سنة ١٩١٧ ومنها الجماعة المعروفة باسم لجنة تدعيم السلام . التى تكونت فى أمريكا برياسة الرئيس « تافت » وجماعة عصبة الامم الفرنسية . التى تكونت تحت رياسة المسيو ليون بورجوى Leom Bourgeois . ثم عنيت بعض الحكومات بتلك الحركة السلمية وعملت على نجاحها ، وكونت حكومات السويد والنرويج ودانمارك لجانا . كانت تعمل مستقلة ثم وحدت جهودها . فلما انتهت الحرب عهدت حكومات الحلفاء الى لجنة من كبار علماء القانون الدولى العام ، وضع صيغة لعهد ينظم هذه الجماعة ، فلما أتمت اللجنة عملها ، وضعت مشروع عصبة الامم ، فأقرته دول الحلفاء ، وعرض على حكومات بعض الدول المحايدة ، لابداء ملحوظاتهم عليها ، وأخذ ببعض هذه الملاحظات ووضع العهد فى صيغته النهائية فى ابريل سنة ١٩١٩ ، وأدمج فى المعاهدات التى عقدت مع دول الأعداء ، ووضع التنفيذ فى سنة ١٩٢٠ . وراعت اللجنة

فى وضعها لمشروع عهد عصبة الامم ، الاقتراحات التى وضعتها الحكومة الانجليزية واقتراحات الرئيس ولسن ، التى تتضمن انشاء جمعية تضم شعوب العالم ، يكون عملها ضمان طرق المواصلات البحرية العظمى ، وحرية الملاحة فيها لجميع الشعوب ، ومنع الحروب التى تقوم خروجاً على المعاهدات أو قبل أخطار سابق .

وظهر تصريح ولسن فى ٨ يناير سنة ١٩١٨ ذلك التصريح الذى كان لشروطه الاربعة عشر ، تأثير عظيم على العالم المتعطش للسلم ، إذ أحل الامل محل اليأس فى قلوب بعض المتحاربين ، وغير المتحاربين ، وكان له رنة سرور عظيمة ، على الاخص فى البلاد الضعيفة التى علقت عليه آمالها فى تحقيق أمانيها القومية ، ولكن بكل أسف ، أن هذه الشروط التى استقبلها العالم بالتهليل والتكبير ، لم تصادف من الحلفاء تأييدا ، واستنكرها الشعب الأمريكى استنكارا أعجز الرئيس ولسون عن الدفاع عن مشروعة والعمل على تنفيذه .

ولكن هذا لم يثن من عزم الرئيس وتمسكه بوضع أساس متين للسلام ، فلما عقد مؤتمر الصلح ، اختلفت فيه وجهات النظر لاختلاف المذاهب ، اذ كان المؤتمرون الاوربيون يرمون الى تحقيق نظريتهم المبنية على التعاون الدولى والمحالفات ، بينما يرمى الامريكيون الى التعاون بين الدول مع الاحتفاظ بمذهب مونرو . ولما لم يؤخذ باحدى هاتين الطريقتين بتمامها ، نجح الرئيس ولسن فى وضع عهد جمعية الامم على أساس التعاون الدولى والتضامن بين الدول . بيد أن بقية المعاهدة لوحظ فيها من الموازنة الدولية شىء كثير .

وفى سنة ١٩٢٥ عقدت الدول الغربية الاربع الكبرى معاهدة لوكارنو لصيانة السلم على حدودها ونبذ الحرب . وفى سنة ١٩٢٨ أمضت جل دول العالم (ميثاق بريان — كيلوج) الذى يقضى فى مادته الاولى بنبذ الحرب كأداة للسياسة الوطنية فى مختلف الدول واعتبارها خارجة عن القانون Hors la Loi

ولكن بكل أسف نقضت بعض الدول معاهدة لوكارنو ، ولم يكن حظ ميثاق (بريان — كيلوج) بأحسن من ذلك ، فقد فسرته الدول الموقعه تفسيراً يذهب بكل قوة فعلية له . وما على الباحث الا أن يقرأ مذكرات السير أوستن تشمبرلن فى سنة ١٩٢٨ وتقرير لجنة الشؤون الخارجية بمجلس شيوخ الولايات المتحدة فى يناير سنة ١٩٢٩ فيجد فيهما الدليل القاطع على ذلك .

وهنا أتحاشى التعرض للدخول فى شرح ماهية عصبة الامم ، وشروطها ومبادئها وأغراضها التى تحتاج الى شرح طويل يخرج منه الانسان صفر اليدين ، لانها بنيت على أساس تنفيذ معاهدة فرساى التى أملتها الانانية والقوة . تلك المعاهدة التى محتها القوة كما أوجدتها . ويكفى أن نستشهد هنا على ضعفها ، ببعض ماجاء بخطبة المستر نيفل تشمبرلن التى ألقاها فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٨ بمجلس العموم حيث قال : « هل يظن أحد هنا أن عصبة الامم بتكوينها الحالى يمكنها أن تضمن السلام العام ؟ اذا كان الامر كما أظن وهو أن عصبة الامم بتكوينها الحالى لا يمكنها أن تكفل لاحد الضمان المتبادل فلا يجوز لنا أن نحاول خداع أنفسنا وايهام الدول الصغيرة بأن عصبة الامم قادرة على حمايتها من الاعتداء . وان تبق تلك الدول على هذه العقيدة فى الوقت الذى نعلم فيه أنه لاينتظر شىء من هذا . »

ثم قوله : « ما معنى هذه العبارة : ان السلام لا يمكن ضمانه الا بالثقة المتبادلة بواسطة عصبة الامم ؟ أى بلد فى أوربا عندما يهدده جار أقوى منه يمكنه الاعتماد على عصبة الامم لحمايته ضد الاعتداء ؟ انى أتحدى أى عضو من المعارضين أن يجاوب على سؤالى هذا . إنه لا يمكن لاحدهم الا أن يجاوب صراحة بأنه : لا يوجد »

وعصبة الامم فى رأيى كشركة مساهمة ، أراد مؤسسوها أن يستأثروا بأرباحها ، فضعفت الثقة فى أسهمها ، وتدهورت أثمانها ، بسبب انسحاب رؤوس الاموال منها ، فأصبحت مهددة بالافلاس وهذا ما يؤسف له غاية الاسف . وقد كان من المستطاع بشىء من انكار الذات ، والمساعدة البريئة أن تصبح عصبة الامم بفضل الاخلاص المتبادل ، موردا للربح المعنوى الحلال

لا ننكر أن عصبة الأمم استطاعت فى السنوات الأولى من تكوينها ، تسوية حوالى ثلاثين مشكلة دولية مختلفة ، منها مسألة جزر الند ، بين فنلندا والسويد ومسألة كورفو ، والنزاع البولونى اللتوانى ، والنزاع اليوغوسلافى الألبانى ، والنزاع اليونانى البلغارى ، والنزاع بين بوليفيا وبرجواى ، وغير ذلك وأنها أدت خدمات إنسانية جليلة ولكن بعض الدول العظمى التى أسستها لم تستطع كبح جماح مطامعها الاستعمارية ، ولم تساعدها على الاستمرار فى عملها الانسانى ، بخروجها على مواثيق العصبة ، ومحاربة الدول الآمنة المطمئنة وانسحاب بعضها ، مخالف بذلك العهود التى وقعها ، فضعفت عصبة

الامم بخروجها منها ، وقات هيئتها فعجزت العصبة عن مد يد المعونة للدول التى استنجدت بها ، كالصين والحبشة وأسبانيا وفلسطين ، وما يؤسف له ويحزن العالم أن الدول العظمى ، التى أدعت فى البداية ، انها انما خاضت غمار الحرب للدفاع عن الضعيف ، وتحرير الشعوب المظلومة : هى بعينها التى نكثت العهود التى وقعتها وشجعت الدول الاخرى على خوض غمار الحرب

أســـقف

الدكتور بارنز هو أسقف برمنجهام وهو دكتور فى العلوم ويأبى فى بعض الاحيان الا أن ينظر النظرة العلمية التى يضيق بها بعض رجال الدين . ولكن الحرية الدينية فى انجلترا واسعة مستفيضة ولذلك لم يضطر مرة الى أن يقف موقف السؤال والجواب

ومن ارائه هذه التى أشرنا اليها قوله فى الكنيسة ان الوسيلة الى السلم يجب أن يكون أساسها تسليم جميع المستعمرات البريطانيه لعصبة الامم . وأن الشبان يجب أن يرفضوا التجند . وأن ضبط التناسل واجب على الزوجين وعلى الحكومه ان تبيح وسائل هذا الضبط . وان بريطانيا يجب أن تقتدى بألمانيا فى تعقيم المرضى والبله الذين يخشى انتقال افاتهم الى أولادهم

وهذا الكلام لايجد معارضة على صفحات الجرائد والمجلات ولكنه ثقيـــل على اذان المصلين عند مايلقى عليهم من منبر الكنيسة .



تسعة وثمانون شهرا في المانيا

للاستاذ حسني العرابي

في سنة ١٩٣١ سافر الاستاذ حسني العرابي الى المانيا . فلم تمض عليه أسابيع حتى فوجيء بحرمانه من الرعوية المصرية بقرار من مجلس الوزراء أيام وزارة اسماعيل صدقي باشا . فلم يستطع العودة الى مصر الا في ديسمبر الماضي بعد أن قضى ٨٩ شهرا في المانيا
وفيما يلي بعض اختياراته في تلك المدة

ربما تتبع كثير كتابات الصحف المحلية عن مآسي في سني النفي والتشرد الطويلة التي قضيتها في المانيا . ولكن ما لا ريب فيه أنكم جميعا تجهلون تماما تفاصيل هذه المحنة : ولا تعلمون شيئا عما قاسيته في المنفى أو عما صادفني من المصاعب التي تتكسر عندها عزائم الرجال وشجاعة الشجعان صدقوني انه كان كفاحا موصولا غير مقطوع ندر أن صادفه رجل ولم تهن له قوة أو يهيض له جناح ليس له ما يسد الرمق أو لباس عادي يستر الجسد أو سقف يأوى صاحبه تحته اذا جن الليل . كفاح قاس من أجل الحصول على كتاب جديد أو زيارة قطعة روائية أو نزهة خلوية للترويح عن النفس من عناء هذه الحرب المشبوبة وتغذية الذهن الجائع وسط الشبع والري في برلين بلد العلم والفن والثقافة والرياضة . كفاح عنيف من أجل المرأة أو في سبيل الحب بنعمته ونقمته حيث الجو والمحيط والبيئة كل ذلك يغرى ويشجع على الوقوع في شباك الحب . وأخيرا الكفاح من أجل المحافظة على الكرامة رغم كل ما حاق بي من مكاره وأحاطني من محن

وليس في النية تلاوة فصول هذه الرواية عليكم فقد كتبتها في نحو الف صحيفة . ولكني سأكتفي بأن أعرض هنا بعض صور منها . لعل فيها حافزا لبعض الشباب على الاعتصام بالصبر في كفاحه اليومي . واستسهالا للصعب كلما تعقدت الامور واختل ميزانها أمام عينيه ، وترغيبا في

المغامرات شأن الشباب الحى المتعطش الى المعرفة والتجربة وأخيرا أرجو ان يكون معرض صدرى تسليه لقلوبكم قبل اذانكم حتى يبقى منها شيىء فى نفوسكم بعد انقضاء المحاضره

لندع جانبا الاسباب التى حفزتنى لمغادرة أرض الوطن عام ١٩٣١ قاصدا المانيا ونكتفى بالاشارة فقط انى خرجت من مصر مزودا بجواز سفر مصرى صالح لخمسة اعوام ، وانى لم أكن فارا من وجه العدالة ، كما انه لم تكن هناك قضايا معلقة ضدى

وصلت الى المانيا فى أوائل شهر أغسطس عام ١٩٣١ وبقيت بها بضعة شهور لم أتعرف فيها بألمانى واحد ولا اختلطت بمصرى . وقصرت وقتى قبل الظهر على استكمال دراسة الالمانيه بالاشتراك مع سيدة امريكيه فطلى تعرفت بهـا منذ اليوم الاول . وفى الليل على زيارات التياترات ودور السينما وعدا هذا أو ذاك أتعرف أحوال البلد بقدر المستطاع .

وعادت السيدة الى بلادها ، وكنت قد استكملت ما أردت معرفته . واستراحت أعصابى من عناء العمل الشاق الذى كنت أقوم به فى مصر ، وضاقت بى برلين على رحبها . وأحسست وحشه بعد سفر السيدة وحنينا لاهلى وصحبى ففكرت فى العودة الى الوطن فكتبت الى مصر ليرسلوا لى نفقات الطريق . فجاءنى رد عجيب مظروف لا يحمل جوابا لا ولا نقودا ولكنه يحمل مقصوصه من الاهرام ليس عليها أى تعليق بها نص المرسوم الملكى الذى صدر بتجريدى من الجنسيه المصريه . صدمه لم أكن أتوقعها ولا عملت لها أدنى حساب تلاها آليا سحب جواز السفر المصرى منى واعطانى جوازا بغيضا أشبه بتذكرة الشخصية يعطى للذين لا وطن لهم . كنت أطلق عليه تذكرة الدفن . فقصدت دار المفوضيه المصريه فقوبلت من موظف صغير هناك بالنظر الشزر والتخوف . فدرت بتذكرة الدفن هذه على قناصل الدول جميعا بقصد الحصول على تأشيرة أو مايسمونه بالفيزا فكان نصيبى الرفض . فعدت الى غرفتى وقدماى لا تكادان تحملانى من الاعياء وأغلقت بابها على ، عادتى كلما تحرجت الامور ، وبقيت جامدا فى مكانى ساعة لا أحس ولا أشعر شيئا ثم خرجت الى الهواء الطلق ، وأخذت أسير على غير هدى مدة من الزمن ، فابتدأت تعود الى مشاعرى فأخذت مجلسى على مقعد وما أكثرها هناك . واستعرضت حالى . وفجأة حببت إلى الحياة ، فأشعر بنشوة دونها نشوة الظفر ، وتمر أمام عينى صور من عظماء الرجال الذين جاءوا وتشردوا منذ عرف

تاريخ الانسانية للانسان . فأنفض عنى رداء اليأس وأرانى أترنح فى ثيابى عجبا بنفسى وكبرياء . وانهض واقفا وقد صممت على أن أعيش مهما كلفنى ذلك

ولم أعجب لهذه الظاهرة . فطبيعتى طبيعة ثائرة يزيدها التحدى صلابة وقوة ويؤجج فيها نار الحياة ، كما أن العكس يضعف فيها روح المقاومة ويأين من حديثها الى حد الاستسلام والضعف . فأخذت طريق مرة أخرى الى غرفتى . وأخذت ورقا وقلما وبدأت أحسب نقودى فرأيتنى لا أزال أملك ما يقرب من الخمسة الجنيهات . فقدرت اخلاء غرفتى وكنا فى منتصف الشهر وكانت تكلفنى وحدها نحو ثلاثة جنيهات فى الشهر والانتقال فى أول الشهر الى غرفة رخيصة متواضعة مع الاقتصاد التام فى نفقاتى لاطيل فى حياتى أياما أبحث لى فيها عن عمل أو مخرج من هذه الورطة . واتخذت قرارات للسير عليها . وكان من بين ما قررته أن أخرج من وحدتى وانفرادى والاختلاط بالناس عساى ان أوفق عن طريق هذا أو ذاك الى عمل وأن اكتفى فى اليوم بوجبتين من الطعام بدل ثلاث أو أربع الخ . الخ .

واندفعت لساعتى فى الطريق نشطا خفيفا كأنى لم أصب بسوء . فأخذت أرتاد المتنزهات العامة ودور الكتب حيث يكثر العاطلون وغيرهم أتحدث اليهم سائلا ومستفسرا . وبحثت عن أرخص مقهى فى كل برلين وأصبحت أتردد عليه مرة فى اليوم . وكان لحسن الحظ مقهى نظيفا يؤمه فقراء الادباء والفنانين وأما أكثرهم فى ذلك الوقت . ثم شرعت أقطع الشوارع والطرقات جيئة وذهوبا أحدق فى وجهات الحوانيت وأقرأ اليافطات المختلفة ، أفكر فيما اذا كانت توجد فرصة لكسب بضع قروش . وتعرفت فى تطوافى بشاب سورى يدرس الطب دعانى لزيارة الجمعية العربية التى كانت كيلها فزرتها مرة وتعرفت بالرئيس وبعض الاعضاء والقيت بينهم كلمة عن الحالة فى مصر . وانقطعت بعد ذلك عنهم : واستلفت نظرى يوما فى تطوافى يافطة تحمل اسم الجمعية الالمانية الشرقيـــة : فتهللت أسارير وجهى . وقلت فى نفسى هنا سأجد عملا . وصعدت السلم وطرقت الباب ، وطلبت مقابلة الرئيس فقيل لى غير موجود . فقلت فليكن السكرتير . فأدخلونى عند سيدة عجوز قدمت نفسها بالدكتورة س . سلمت وقدمت نفسى لها كاديب مصرى . وقلت أن يافطة الجمعية قد لفتت نظرى فأردت أن أعرف شيئا عن مقاصد الجمعية . فحدثتنى السيدة أنها لتنمية العلاقات الاقتصادية بين

المانيا والشرق القريب . وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث فسألتها عما اذا كانوا فى حاجة الى خدماتى وأخذت أعدد لها كل ما أستطيع القيام لهم به ، وأنى أستطيع أن ألخص لهم مثلا كتابات الصحف العربية أسبوعيا ما يساعدهم كثيرا فى أعمالهم . فشكت سوء حال الجمعية وانها لا تستمد أية معونة من الحكومة ، وانها على وشك إقفال أبوابها . ولكنها رغم ذلك وعدتنى أن تتفاهم مع الرئيس الاستاذ الدكتورى بشأنى ، وأن أمر عليها بعد يومين . ومررت بعد يومين . وقدمتنى السيدة للرئيس وهو رجل مسن تكاد تكون أيامه معدودات . فاتفق معى على كتابة تقرير اسبوعى نظير جنيه فى الاسبوع . فخرجت من عنده أرقص فرحا فى الطريق وأصيح بالعربية : لقد أنقذت ! لقد نجوت ! وأول شىء صنعته أن انتقلت الى غرفة رخيصة بجنيه فى الشهر . وبقيت أكتب تقاريرى وأتناول الاجر عليها اسبوعيا وظللت أعيش على ثلاثة جنيهات بضعة شهور فساءت صحتى لسوء الغذاء ولم أحتفظ بشىء من مظهرى الخارجى بغير البطالة رغم بلاء ثيابى .

وذهبت يوما فى آخر الاسبوع بالتقرير فتلقتنى الدكتورة س وعلامات الأسى والاسف على وجهها ، ولم تتسلم تقريرى وأنبأتنى أن الرئيس الاستاذ الدكتور ى قد توفى : وأن الجمعية لا تستطيع الاستمرار بعده لانقطاع مواردها عظيم من مواردها وذلك ما كانت تتقاضاه من الرئيس هذا عدا الحال العامة ما لا يبشر بأى نجاح : وسلمتنى أربعة جنيهات لاستعين بها مدة من الزمن حتى أجد لى عملا وأشارت على أن أعالج حظى فى الصحافة . فأخذت المبلغ وشكرتها ، ولقد حاولت فى الصحف قصص طريفة لا يتسع الوقت لذكرها .

وخرجت من عندها لا أكاد أعى ولا أبصر فكانت الدور والناس وكل شىء يرقص أمام عينى وأحسست الارض الفضاء تدور .

وكانت البطالة يومئذ قد بلغت فى المانيا أشدها ، وعض الجوع ملايين الناس فكانت تقع الرجال والنساء فى الطرقات صرعى من الجوع . وشهدت حادثين بعينى رأسى خارت فيهما قوى بعض العمال العاطلين . فأسلما فيهما الروح الى باريها . فتحققت انى هالك لا محالة فابتسمت ابتسامة احتقار لقسوة الانسان على أخيه الانسان . وهان خطبى على ، واستجمعت قواى . وقلت فلانا ضل بلا يبقى معى من نقود ، ولا عتب على ولا ملامة بعد ذلك اذا أنا خررت صريعا فى الميدان

وانتقلت مرة ثالثة الى غرفة أحقر من الأخيرة . استغفر الله بل الى قبر . الى قبر رطب مظلم في وضح النهار لا أظن أحدا سكنه قبلي ولا بعدي نظير نصف جنيه في الشهر . وأخذت أخزن فيه خبزا وأداما كالجبن ومحفوظات العلب وغيرها خوفا على نفاد النقود مني . وكم كنت أتمنى لو كنت جملا لأخزن هـذا الطعام في جوفي حرصا عليه من التلف . وبقيت أجلس فيها . أغسل ملابسي وأنشرها وأصلحها ، أقرأ قطعة من هذا الكتاب وأضعه جانبا ثم أتناول اخر أقرأ منه قطعة وأطرحه ناحية . حتى اذا جن الليل أخرج الى المتنزهات العامة لأتريض قليلا ولاتنشم الهواء . وانقطعت عن الناس جميعا وقاطعتهم ، وكرهت من اعرفه منهم ومن لا أعرفه . واشتدت في الكراهية الى حد أني كدت أخرق قوانينهم وأعرض نفسي للعقاب ، فالقانون يقضي عند الالمان على الساكن عند انتقاله من مسكن الى مسكن أن يعلن دائرة البوليس التي كان يسكن فيها كما عليه أيضا أن يعلن دائرة البوليس التي سكن فيها وذلك كله كتابيا على طلب مطبوع لهذا الغرض حتى يسهل معرفة كل شخص في المانيا فأهملت تعليق التقييد هاتين عشرة أيام حتى لا يهتدي الى أحد من معارفي . ولما كانت المدة المحددة لنا ذلك الوقت لأخطار البوليس يجب أن لا تزيد على الاربعة عشر يوما والا تعرض الساكن وصاحب المسكن للعقاب أخذت صاحبة الدار تلح على كل يوم في استيفاء هذه الاجراءات فكنت أعدها وأسوف

وصاحبة الدار « فراو زور » أو بالعربية السيدة حامض شمطاء تجاوزت السبعين قد حفرت المتربة والاسى في وجهها خطوطا عميقة ، قصيرة نحيلة الجسم ثرثارة ككل العجائز . قد أحط عليها الدهر بكلكلة في هـذا العمر ولم يبق لها من حطام الدنيا غير مسكنها الذي اضطرت الى تأجيره لتستعين على تكاليف الحياة الثقيلة . جاءت الى بعد أن يئست مني وبعد أن تسرب الى نفسها الشك في أمري ودقت على الباب في الصباح المبكر وكنت لا أزال راقدا في فراشي فنهضت لاستقبالها وكانت الدموع تنهمر من عينيها انهمارا فظننت في الامر شيئا فأخذت أطيب خاطرها وسألتها عما حدث . فقالت في ذلة وانكسار « يا بني لا مؤاخذة ان حالتك مريبة وأنا خائفة منك » « مني أنا ؟ » فقالت وصوتها ينهدج بالبكاء « نعم منك انت . أنت تجلس طول النهار في غرفتك لاتزور ولا تزار ولا تؤدي عملا ثم تسرح بالليل وتماطل في تقييد اسمك في دائرة الشرطة » « اسرح بالليل واماطل

ما هذا الكلام ايتها السيدة ؟ » « نم تسرح بالبال واغلب الظن أنك مختق عندى من أعين البوليس . ارحم أيها الرجل ضعفى وعجزى فانا امرأة عجوز مسكينة وقد كنت فى صباى فى نعمة ورغد من العيش وقد اضطررت فى هذه السن الى تأجير غرفى حتى لا أتسول فلا تجر على كما جار على الزمن . وأنا أعرف دائرة الشرطة فى حياتى ولا أذكر انى صنعت شيئا لاحد بارك الله لك فى الاجرة التى دفعتها لى خذها ثانية وغادر منزلى » وأخذت تنشج وتتشنج ولولا أنى تمالكت نفسى هذه الساعة لقضيت عليها بلطمة واحدة فقد اذتنى فى شرفى وعزتى فى وقت كنت أحس فيه بظلم العالم كله لى . فمسحت كتفيها بيدى وقلت لها ممازحا « وان كان قد حكم عليك الزمان بعد عز فقد حكم على أيضا بعد عز فنحن فى البلوى سواء وما أحق الواحد منا بعطف أخيه . وأقسم لك انى لست بمجرم وما مسألة التقييد الا اهمال سأتلافاه اليوم ودعينى حتى اخر الشهر ولك بعد ذلك الخيار فى بقائى أو اخراجى » فخرجت تمسح عينها وتتمتم بكلام لا أفهمه

وارتديت ملابسى وغادرت غرفتى وأخذت أتسكع فى الطريق ، ثم درت عدة دورات فى منتزه هناك قريب ، حتى كانت الساعة التاسعة . وقصدت صاحبة الدار القديمة لتوقع على لى طلب الاخلاء فما وقع نظرها على حتى صرخت فى « اين أنت ؟ لقد قلبنا عليك برلين رأسا على عقب وسألنا ادارة الشرطة عن عنوانك الجديد فلم نقف لك على اثر . » فوجمت لمفاجآت هذا الصباح . وقلت فى نفسى « ترى قد اثار مسلكى شكوك الناس فى ؟ ألست حرا فى ان أسلك مع نفسى كما أحب وأختار ؟ إن هؤلاء الاوغاد يظنوننى مجرما . » والتفت الى محدثتى وقلت لها : ماذا حدث أنا لم ارتكب جرما أيتها السيدة ؟ فقالت خذ مكانك ووضعت يدها على آلة التليفون فحسبتها تطلب ادارة الشرطة ، فلم أفزع لحركتها ، ولم يكن عدم فزعى عن شجاعة او احساس بالبراءة ولكنه احساس اخر احساس عدم الاكتراث . واستوى السجن عندى والحرية كما تعادلت عندى البراءة والاتهام . وتكلمت السيدة طويلا على التليفون . ولم أفهم منه شيئا لانى لم أحاول أن أفهم شيئا . وقامت الى عملها ورجتنى أن أبقى مكانى . فبقيت . وهل كان فى الامكان غير هذا

وبعد قليل دق جرس الباب ودخل زائر لم أتعرفه الا بعد أن سلم على وهز يدى سائلا عن صحتى وعاتبا على لعدم زيارته وجرنى معه قائلا « أسرع أسرع ! فليس فى الوقت متسع . أين

كنت مختبئا طول هذه المدة ، فتذكرت أنه رئيس الجمعية العربية الذى تعرفت به منذ مدة . فتبعته دون أن أسأله الى أين . وتمتمت . صباح غنى بالمفاجآت ! فنادى سيارة وركب وركبت معه . ووقفت السيارة بنا أمام جامعة برلين وأرسل ببطاقة لعميد كلية اللغات الشرقيـــة . وسمح لنا بالدخول ، فاستقبلنا رجل ملتح نحيل الجسم أصفر الوجه يشع الذكاء من عينيه أحسن استقبال . وقدمنى رفيقى اليه فزاد فى تلطفه وأمر لنا بالقهوة والسجاير . فتنبهت قليلا من حالة الجمود التى كانت قد استولت على . وكلما أفقت قليلا من هذه الحالة زادت دهشتى وفضولى مما يجرى حوالى ولكننى لم احاول استكشاف شىء وقلت فلأدع الرواية تمثل حتى النهاية . .

وحدثت فترة صمت قصيرة ثم بدأ العميد يتكلم من جديد ولكن باللغة العربية الفصحى موجها كلامه الى . لقد تشرفت ياسيدى الاستاذ !!! أين كنت مختبئا طول هذه المدة ؟ فقاطعته بشىء من السخرية « شرف الله قدر سيدى العميد كنت معتزلا الناس لاستريح منهم ولاريحهم منى » فاستأنف الحديث أنا أعرف اسمك منذ زمن بعيد ، وكتابك كذا المترجم عن الانجليزية فى مكتبتى وأظن انى قرأت لك شيئا فى الصحف العربية . أنت بيون شك الأديب الذى كتب عنه المؤرخ الألمانى هارتكون فى كتابه « الاستعمار والشرق » وصمت قليلا ثم قال : لعلك تعرف الدكتور المصرى . لقد كان استاذا عندنا للغة العربية وقد سافر الى مصر فلجأنا الى رئيس الجمعية العربية لترشيح استاذ بدل الدكتور وفذكر لنا اسمك . وكنت أعرفه فرجونه ان يكون واسطة تعارف بيننا والآن احب ان اسألك ما اذا كان وقتك الثمين يسمح بأعطاء بضعة دروس فى العربية لطلابنا . نكون سعداء جدا لو تفضلت وقبلت ، استاذ اللغة العربية ! وقتى الثمين ! ماهذا العبث كله؟ احالم انا؟ أبى جنة ؟ أو أنا محموم ؟ لا ، لاهذا ولاذاك هذان الرجلان القاسيان متآمران على يهزآن من ضعفى . وثارت ثائرتى وصممت على تحديهما وليكن مايكون . واجبته انا بدورى « هذا شىء بسيط ! ووقتى الثمين يسمح لى بذلك » فشكرنى وسأل متى استطيع البدء فى العمل قلت اليوم وانبت نفسى انى لم اقل الســاعة . فقال حسنا اذن الى الساعة السابعـــة مساء وحدد لى الاجر وودعنا الى السلم فهزنى رئيس الجمعية العربية من كتفى متهللا واخذ يدى بين يديه وقال « مبروك » عدة مرات واستأذن منى

وكانت الساعة الحادية عشر ، فوقفت بجانب سور الجامعة الخلفى وأخذت استعرض حوادث هذا الصباح وأحسست رأسى يغلى . وقفت فيم العودة الى غرفتى وليس فيها ما يسر أو يسلى وخفت دموع فراو زور وتنهداتها ورأيت أن أبقى فى هذه المنطقة حتى الموعد المضروب حتى اتحقق انى فى يقظة وأن عقلى لا مساس به . ودرت أتسكع هنا وهناك وأقول بصوت عال: استاذ لغة عربية فى جامعة برلين ! لقب لا بأس به ! هل يسمح وقتك الثمين ! واضحك ضحكات جنونية مسموعة وأخذ منى التعب مأخذه ففكرت أن أجلس فى حديقة الجامعة هنيهة وعدت فنهرت نفسى كيف يليق باستاذ اللغة العربية أن يجلس فى طريق تلامذته . واستحثثت الوقت ولكنه لم يشفق بى واختصمت بالصبر مرات . وأخذت مجلسى على مقعد قريب ولم أذق طعاما ولا شرابا فى يومى حرصا على القليل من المال الذى كنت أملكه . وشددت القبعة على رأسى حتى أخفى وجهى عن تلامذتى وأخيرا جاء الموعد ودخلت مدرسة اللغات الشرقية متثاقلا فى مشى لا عن تعب ولكن عن تصنع . فقادنى أحدهم الى غرفة التدريس ووجدت نفسى بين السبورة وبين الطلبة فكدت أفضح نفسى وأصيح أيها الناس لست مدرسا ولم أكن فى حياتى مدرسا ماذا تريدون بى ! ولكننى استجمعت قواى مرة أخرى ودرت دورة بين الصفوف . وتناولت من أمام الطلبة كراسة بعد الاخرى وأخذت أقلب فيها . وأخذت فكرة عن معلوماتهم وعما يتعلمونه وعدت الى مكانى وابتدأت فى التدريس وكأن وحيا نزل على من السماء أو فيضا الهيا فانطلقت الق درسى بلباقة وتسلسل وبدون توقف حتى آخر الساعة . ولحظت علامة السرور والاعجاب مطبوعة على الوجوه فسلمت وأردت الانصراف فاستوقفنى أحد السامعين وهنأنى باسم المدرسة وقدم لى نفسه الدكتور ن زميل مستشرق نروجى ويدرس العربية أيضا . وقال فيما قاله أن الادارة أرسلته ليكتب تقريره عنى ولكنه سيحضر حصتى بدون انقطاع للاستفادة وقد بر بوعده طول مدة عملى . وأخذت طريقى الى فراو زور نشطا كأن لم يكن بى شىء من آثار التعب . وشرعت ادندن طول الطريق . وقلت أرخ ياولد هذا التاريخ السعيد فى حياتك ففيه قد ضمنت لأول مرة حياة سعيدة .

وانقضى فصلان دراسيان علم فى غضونها أعوان الشرق المصريين بما انا فيه من طمأنينة فاستكثروا ذلك على وكادوا لى فكتبوا لأولى الأمر كتابا نبشوا فيه تاريخ حياتى ففصلت من

على طبقا للقوانين الجديدة من حرمان الذين اشتغلوا فى ماضيهم بالماركسية من وظائف الدولة . فكرة يعلم الله أنى طلقتها منذ زمن بعيد وأمقتها كل المقت وعدت مرة أخرى الى التشرد وهكذا كلما بسم الدهر مرة عبس لى مرات . وكلما ذللت صعوبة عثرت بصعوبات ما هو مسطور فى مذكراتى

عشت فى مصر ما يقرب من خمسة وثلاثين عاما لم أعرف فيها هذا الذى يسمونه حبا ويؤلفون فيه القصائد ويكتبون فيه القصص . وكنت فى شبابى أتشبب وأتغزل ولكنه على سبيل التقليد فقط . وفقط بعد أن اكتملت الاربعين وفى منفاى عرفت ما كنت أجهله وكويت به مرتين ولا محل لتسبيب جهلى بالحب فى مصر ومعرفتى به فى المانيا لضيق المقام وسأذكر واقعة الحب الثانية

حدث أنى لما فارقت خطيبتى بعد أن فسخت عقد الخطبة مرضت مرضا شديدا أو نقص وزنى عشرين كيلو وخيف على حياتى . فقد كان حبى لها وشغفى بها لا يقدر . وكان بين أصدقائى رجل داهيه عرف أن طب الطبيب لا يفيد فى هذا المرض وأن دواء الحب فى الحب

فعرفنى بفتاة مثقفة ليست على شىء كثير من الجمال ولكنها كما يقول الفرنج Interresting وكانت أديبة فاضلة معروفة لها خمسة كتب فى السوق ترجمت الى خمس لغات : كما كانت كريمة الخلق : زارتنى يوما بعد التعارف وعرضت على أن نكتب مناقصة بالألمانية عن البيئة المصرية وحببت الى الفكرة وقالت انها ستدر علينا ارباحا عظيمة . وبعد تردد قبلت اقتراحها . وتعود صديق الطرفين مساعدتى فى الذهاب الى دار الآنسة وفى العودة لضعف جسمى . ولم يمض أسبوع حتى تحسنت صحتى بعض الشىء واستغنيت عن مساعدة الصديق . وكنت اذهب اليها كل يوم فى الساعة العاشرة وأبقى عندها حتى الثانية بعد الظهر . كانت تجلس فى هذه الفترة الى الآلة الكاتبة وأجلس بجوارها أملى عليها قصتى وكانت تقدم الى فى اثناء ذلك حلوى وفاكهة كثيرا ما كانت هو كل ما اتناوله من الطعام فى يومى فقد كنت أعيش فى ذلك الوقت على درس أو درسين أعطيهما بعد الظهر . وكانت بجانب الكتابة وحسن الضيافة تواسينى وتعطف على . وتقدمت صحتى بمرور الأيام وألفت عشرتها واصبح لقاؤها ضرورة من الضرورات . وابتدأت تتنبه مشاعرى بتحسن صحتى وأحسست عطفها على فسرته بحبها لى وكنت ابتدأت احبها . فأردت أن اختزل الطريق وأريح قلبينا . فبعثت لها بعد خروجى من عندها بكتاب غرامى وبقيت طول الليل

مسهداً يكاد يعميني الحب ويذيبني الخجل ، وترددت في الصباح في زيارتها كعادتي ولكن الشوق تغلب على فهرولت اليها فقابلتني كعادتها ولم تحمر لها وجنة ولم يند جبين ولا عبس لها ثغر وشكرتني في اثناء محادثاتنا على كتابي واستمر العمل كالعادة ...

وكتبت لها ثانيا وثالثا وخرجت من الغموض في شرح حالي الى الافصاح ولكنها بقيت هي هي المرأة الكريمة المتأنية الطيبة القلب البعيدة النظر سيدة نفسها . فثرت وغضبت وعددت كرمها احسانا وتلطفها شفقة ممقوتة ، وعطفها لعبا بي . وهددتها بالمقاطعة اذا لم ترد على كتاب مني فردت ولكن ردود الاتشبع غلة محب وان أشبعت غلة أديب وتحديتها فكانت كل مرة كان يتحطم رأسي ! ومر على هذه الحال خمسة شهور ولم أعد أطيق ذلك . ولم نعد نكتب شيئا في الكتاب فقد كانت جلساتنا مجرد مجادلات ومنازعات وتوسلات . فأخذت أبحث عن سبب لفصم عروة صداقتنا والرحيل عن برلين الى أي بلد آخر ولو الى الجحيم .

وكنا لا نفترق سبتا ولا أحدا وحدث بعد تصميمي هذا بيومين أن قالت لي « لا تأت الى غدا » نار وكبريت !! لا ! أين أليك غدا !! ؟ ولماذا ؟ « عندي ضيوف من أهلي . » «قبل الظهر» « قبل الظهر وبعده » فألقيتها احتياطا « أعيد ميلادك الليلة ؟ » فقالت في حياء نعم ، موعدنا بعد غد أخذت على عيد ميلادها حتى لا ترهقني بأن أهديها فيه شيئا . فوضعت يدي في جيبي فلم أجد شيئا حتى ولا لشراء وردة واحدة . يالقلة والعار ! فكرت كثيرا أن أجد طريقا للحصول على شيء من النقود ولكن رأسي الخاوي عجز . فعدت الى داري كئيبا ذليلا . وجلست الى مكتبي وأردت أن أقتل الوقت فأخذت ورقا وقلما وبدأت أكتب قصة صغيرة تحت عنوان « طليق يحن الى الرق » ومن عجب أن الافكار تواردت على بشكل عجيب فانتهيت من تحبير القصة في ساعتين ثم خطر لي خاطر غريب فأخذت ورقة جديدة وكتبت عليها كتابا للسيدة أهنئها فيه بعيد ميلادها وكأنني أقدم لها القصة المرفقة هدية في عيد ميلادها . ورجوت أبنة صاحبة الدار أن توصل كتابي هذا الى صاحبة العنوان وأعطيتها نظير ذلك كتابا من كتبي .

وتنفست الصعداء وكان حملا ثقيلا سقط عن عاتقي ونسيت الجوع ونسيت منازعاتي مع السيدة وخرجت الى أحد المتنزهات طلبا للرياضة . وفي المساء عدت الى بيتي فأخبرتني صاحبة الدار

أن الانسة «ا» دقت لى التليفون خمس مرات وأنها تركت لى خبرا آخر مره أن أذهب اليها ولو فى منتصف الليل . فأخذتنى الدهشة وقلت مريضة بدون شك . وذهبت اليها مسرعا . ودققت الجرس ففتح الباب ووجدتها أمامى باسطة ذراعيها الى . وخاطبتنى لاول مرة بضمير المخاطب المفرد دليل الصداقة وعدم الكلفة . وقادتنى الى غرفتها فاذا شموع وشراب وفاكهـــة وزهور وقالت لى اسمع وصلتنى هديتك وأنا فرحه ومخمورة بها ، وفى كل حياتى لم تصلنى أثمن منها ولا هدايا من نوعها . ومن شدة اعجابى بها بعثت بأهلى الى دورهم والليلة لك وحدك . وأنا أعتبر من هذه الساعة الهك الهى وأهلك أهلى وبلدك بلدى .

حديث الحب حديث يطول فلاقف عندهذه النقطة السعيدة ومن شاء مزيدا فليتتبع مذكراتى التى ستظهر قريبا

بقيت كلمة الختام . لو أن ما لقيته من عنا وبؤس وشقاء ووحشة ومعرفة وعلم وتجربة يمكن استبداله بنصاب وعرض على استبداله بالف الف جنيه أو يزيد فاقسم غير حانث فى يمينى لرفضت هذا العرض

ولا يأخذكم العجب كما أخذ كثيرين ممن يعرفوننى كيف صبرت على كل هذه الآلام والمحن وكيف تحملتها وكيف غالبتها وغلبتها فشعارى كان دائما « ان الحياة عقيدة وجهاد »

الحرب

أصبحت الحرب ويلا ووبالا على المدنيين كما هى على الجنود . ولذلك قدمت الحكومة البريطانية مشروعا لتأمين المدنيين — مدة الحرب — من القتل أو الاصابة وتأمين البواخر والسفن التجارية ومشحوناتها . وتأمين المبانى التى يملكها الافراد أو الشركات

وكانت الحكومة البريطانية تؤدى معاشا لورثة القتلى من الجنود . وهى الان — بهذا التأمين — ستؤدى معاشا لورثة القتلى من المدنيين بلا أدنى فرق بين الجندى والمدنى

وهذه التأمينات المختلفة تدل على التطور الحديث فى الحروب فان كل فرد فى الامة أصبح جنديا معرضا للموت أو الاصابة

اسيوط القديمة والحديثة

للاستاذ بيومي على نصار بلشمدير أسيوط

اسيوط أكبر مدينة فى الصعيد ومن أقدم المدن المصرية المعروفة فى التاريخ القديم اذ كانت عاصمة لاهم اقاليم الصعيد واكثرها عمرانا وثراء ومنعة وكانت محاطة بغابات كثيفة من أشجار السدر والفاكهة والنخيل

اما ولاية اسيوط القديمة آت خينت فكانت تمتد من قرية مير شمالا الى قرية شطب جنوباً (٥٥ كيلو متراً)

وقد يبدو الآن ان ذلك الاقليم كان صغير الاتساع بالنسبة لعاصمة الصعيد . ولكن الثابت انه كان يعد من اكبر اقاليمه اذ ان الصعيد كان مقسما الى اكثر من عشرين اقليما لكل اقليم امير يحكم واله يعبد .

واقدم اسم لها ذكره التاريخ هوسيوط مقر الاله أنوبيس ثم أطلق عليها اليونانيون عند حلولهم لوادى النيل ليكوبوليس أى مدينة الذئب لما ثبت لهم من التاريخ انها كانت مقر الاله المذكور وهو معبود اسيوط المقدس الذى كان يمثل فى شكل ذئب . وظلت هذه التسمية الى عهد الفتح الاسلامى لوادى النيل حيث رجعوا بالتسمية الى اصلها الصحيح وهو سيوط وورد على هذه الصورة فى الكتب العربية

وابان الحملة الفرنسية هرع اليها بعض المماليك والأمراء للاقامة فيها فراراً من الفرنسيين وبنوا فيها قصوراً عظيمة وحمامات وقيساريات وغير ذلك كما حصنوا سورها وبواباتها القديمة . وقد بعث اليها نابليون بتجريدات عسكرية لفتحها والاستقرار فيها ليمكن لرجاله الهيمنة على شئون الصعيد كله. وقد عسكرت الجنود عند سفح الجبل الغربى تجاه المدينة حيث نصبوا مدافعهم وضربوا بها المدينة

حتى خربوا كثيراً من معالمها القديمة ومبانيها الجميلة ولم يسع اهلها الا التسليم بعد ذلك . فدخلها الغزاة واستقروا فيها بعض الزمن . بعد ذلك وفدت عليها البعثات العلمية للبحث والدرس والتنقيب عن معالمها وآثارها القديمة فكانت الحملات اولا والبعثات العلمية ثانياً موفدة الى اسيوط

ومن المحقق ان مدينة اسيوط متناهية فى القدم الا ان التاريخ لم يذكر شيئاً عنها قبل الاسرة العاشرة حوالى ٢٤٠٠ سنة قبل الميلاد اذ كانت كما سبق القول المقر الرسمى للاله انوبيس الذى كان يمثل فى صورة ذئب تقدم له القرابين ويعبده الناس فكانوا يقدسون الذئب لذلك وينقشون صوره فى مقابر الملوك والامراء كما يحنطون جثثه ويكفنونها فى لفائف الكتان ويدفنونها فى مقابر أولئك العظماء وهو يمثل الاله انوبيس أو دليل الاموات الذى يقودهم فى الآخرة الى طريق الجنة والنعيم المقيم

وتوجد سلسلة كبيرة من المقابر الأثرية المنحوتة فى الجبل الغربى قبالة أسيوط وممتدة الى الجنوب لمسافة ستة كيلو مترات تقريباً حتى تنتهى عند ناحية دير ريفا حيث تبدأ الى الجنوب ايضا سلسلة أخرى من تلك المقابر كانت معدة لدفن امراء شطب التى كانت ولاية اخرى غير ولاية اسيوط

اما سلسلة المقابر الاولى الخاصة باسيوط فقد كانت مخصصة لدفن امراء اسيوط ولدفن حيوان الذئب المقدس وهى على طبقات فوق بعضها .

ومن اهم هذه المقابر ثلاثة فى الطبقة العليا مشرفة على مدينة اسيوط وهى مقابر ثلاثة من امراء اسيوط الاقدمين وهم تيف يب وولديه خيتى الاول وخيتى الثانى وهم من امراء اسيوط فى عهد الأسرة العاشرة . ولهذه المقابر الثلاثة اهمية تاريخية كبيرة اذ انها تعتبر اكبر مصدر لتاريخ الاسرة العاشرة حيث كانت الدولة فى حالة انحلال شديد بسبب الحروب والثورات الداخلية التى شنها امراء معظم الولايات القبلية ضد الملك ليستقل كل بولايته ولتنصيب نفسه ملكا مطلقا عليها

اما الامير تيف يب فقد كان امير اسيوط فى عهد الملك ميرى كيرى Merikeri وقد كان ذا حظوة كبيرة لديه ومقربا عنده عن سائر امراء الولايات لاخلاصه الشديد للملك ولانه حارب كثيراً من امراء الولايات القبلية وطردهم من اماراتهم جنوباً لغاية معبد ايدوس ليخضعهم للملك المذكور م وقد كان منقوشاً على باب مقبرة ذلك الامير ما يأتى — « ارجوكم يا من تمرون بقبرى ان تصلوا من اجلى »

ولما كانت الامارة على اسيوط وراثية وبخاصة لشدة اخلاص الامير نيف يب للملك ميرى كيرى فقد عين الملك نجله خيتى الاول اميراً على ولاية اسيوط وقد كان ذلك الامير ايضا مثل ابيه شديد الاخلاص للملك ميرى كيرى وحارب معظم امراء الولايات القبلية لاخضاعهم للملك وبذل فى ذلك مالا وجهوداً طائلة . وقد كان مقر الملك المذكور مدينة « ليشت » قبالة البدرشين على النيل ولـكن نظراً لخروج معظم الامراء على حكمه وانتقاضهم له حضر الى اسيوط للاستنجاد باميرها خيتى الاول فجهز الامير اسطولا نيلياً عظيماً وسار بالملك فى مظاهرة حربية نيلية وبرية متجهاً نحو الشمال حتى اعاده الى عرشه فى المقر المذكور .

ولم يكتف الامير بذلك بل توجه جنوباً بعد عودته الى اسيوط وحارب الامراء القبليين وخصوصا امراء طيبة (او الاقصر) واغتصب منهم مدينة تينيس التى كان يطلق عليها اسم « بوابة الشمال » ولذلك منحه الملك لقب حاكم الصعيد العسكرى وامير اسيوط

ويطلق على مقبرة خيتى الاول مقبرة الجنود لانه وجد بها نقوش كثيرة تمثل صفوفاً متراصة من الجند مدججين بحرابهم ودروعهم كما مثلت نقوش أخرى جانباً من الاسطول المصرى الذى قاده لاخضاع الولايات القبلية والبحرية لحكم الملك ميرى كيرى

اما الامير خيتى الثانى فقد تولى امارة اسيوط بعد وفاة ابيه وذكر التاريخ انه كان اميرا وديع الخلق عظيم الثراء وكان يمتلك اطيانا زراعية واسعة ورثها عن ابيه فوق الاقطاعية التى كان يستغلها بحكم امارته على الولاية . ومن اعماله انه شق ترعة كبيرة للرى فى ولايته كما كان يختزن كثيرا من محاصيل الحبوب لتوزيعها على الفقراء والعمال فى ولايته عند اشتداد حاجتهم اليها دون مقابل . وكان يلقب ذلك الامير قائد مصر الوسطى وامير اسيوط

وقد بذل كل من هؤلاء الامراء الثلاثة كل مقدورهم فى تعزيز اركان المملكة المصرية وبذلوا من الاموال والجهود فى ذلك شيئا كثيرا الا ان استمرار الفتن والقلاقل والحروب الداخلية لم تبق على كثير من معالم الحضارة والعمران فى عهد الاسرة العاشرة ولذلك تعتبر مقابرهم الثلاثة ذات شأن كبير فى تاريخ تلك الاسرة المالكة وايراد كثير من اخبارها فى النقوش التى وجدت بها

وفى الطبقة التى تلى تلك المقابر مباشرة توجد مقبرة امير اسيوط هيزيفا وهى تعتبر اكبر مقبرة

حجرية اكتشفت فى الديار المصرية وقد كان صاحبها المذكور يطلق على نفسه الالقاب الآتية :

« امير اسيوط وخادم الاله ويبواويت ورئيس كهنته . المشرف الاعلى على شئون مصر العليا وبلاد النوبة المولود الشرعى للام المقدسة ايديو ــ Idi نائب الملك سينوسريت الاول Senusret والحاكم بامره . عظيم العظماء »

وسبق القول ان الدولة كانت فى حالة انحلال شديد فى عهد الاسرة العاشرة وتلتها الاسرة الحادية عشر فلم تعمر كثيراً ولم تستطع تثبيت دعائم الملك أو السيطرة على كل الولايات لانتشار الثورات والحروب الداخلية ولم تنقطع هــذه الحالة تماماً ولم يعد للبلاد امنها ورخاؤها الا فى عهد الاسرة الثانية عشر التى بدأت بحكم الملك امنمحت الاول ٢٢٠٠ ــ ١٩٨٨ قبل الميلاد وهو الذى اعاد تأسيس الملك على دعائم ونظم قوية وفى عهده استقرت الامور وزهت الحضارة وازداد العمران بعد أن تغلب على جميع العصاة وعلى المصاعب الكبيرة التى لاقاها فى اصلاح البلاد وتنظيمها وقد ترك فى انحاء مصر من الاثار والمعالم ما يشهد له بالجد والسعى وراء مصلحة بلاده كما استخرج كثيراً من المعادن من مناجم الصحراء وشبه جزيرة سيناء والذهب من شمال بلاد النوبة (الدر) حيث كان يوجد فيها بكثرة

وبعد ان حكم عشرين سنة بمفرده اشترك معه فى الحكم ابنه سينوسريت الاول Senusret أو Unsertsen أو Sesostris لمدة عشرة سنوات ثم توفى وحكم بعده ابنه المذكور خمسا واربعين سنة قاد فيها كثيراً من الجيوش لتأديب اللوبيين واخضاع النوبة

ومن اشهر اثاره مسلة عين شمس وبدأ مشروع بحيرة موريس (قارون) وبنى معبداً بوادى حلفا وكانت مدة حكمه من سنة ٢١٨٨ الى سنة ٢١٤٣ قبل الميلاد وكان مقر ملكه فى مدينة ليشت سالفة الذكر

وكان من اكبر الامراء المقربين لديه امير اسيوط هيبزيفا الذى عاونه فى معظم حروبه وغزواته وقد قام على رأس جيش كبير لاخضاع بلاد النوبة ثم فتح السودان وقد كان يخشى الموت ويحسب له كل حساب تخشى أن هو مات الا يقوم كبير كهنته بمقر امارته وهو اسيوط باداء واجباته الدينية لروحه بعد الموت فاراد ان يقيده بقيود يضمن معها ان يقوم باداء تلك الواجبات على الوجه الاكمل

وهى تشمل تقديم الهدايا والاطعمة والقرابين لروحه ولاله ويبواويت حتى يقوده للنعيم الخالد عشرة التزامات Contracts مع كبير كهنته وارفقها بخطاب يلزمه فيها باداء تلك الطقوس كاملة وقد كانت هذه الالتزامات محررة على ورق البردى ومختوم عليها فى غلاف لا يفض الا عند موته

الا ان الامير ادركته المنية فى طريقه لفتح السودان فمات عند ناحية يقال لها كرمه kerme بجوار الشلال الثالث وعلى بعد ٣٤٦ ميلا جنوبى حلفا فدفنه اتباعه فى مقبرة كبيرة هرمية الشكل بنيت من الطين والطوب كما دفنوا معه زوجته سينوى Senuwy ووالدته (ايديو) Idi — o وخلقا كثيراً من كبار قواده وجنود حرسه وكثيرا من التحف والتماثيل التى جلبها معه من أسيوط وعندما ورد نبأ وفاته الى أسيوط خشى رئيس كهنته ان تضيع الالتزامات المحررة على ورق البردى اذا ما مات هو وتعطل مفعولها فوفاء لسيده المتوفى قام بعمل تغييرات كبيرة فى النقوش والرسوم السابق عملها فى مقبرته وسجل مكانها نصوص تلك الالتزامات العشرة لتكون مستديمة الخلود ليقوم من يخلفه فى رياسة الكهنة على تنفيذ ما جاء بها واحترامها

ويذكر المؤرخون ان هذه هى أقدم التزامات مكتوبة عرفها التاريخ منذ الخليقة مع أن صاحبها كان من أمراء الاسرة الثانية عشرة

وقد احتوت مقبرته باسيوط كثيرا من هذه البيانات كما نقش على جدرانها تفاصيل غزواته وحروبه مع امراء طيبة — كما نقش على نقوش لصورة الكبش المقدس ولصورة الأمير وهو جالس الى منضدة تقدم له الهدايا وفى صورة اخرى يرى واقفا وامامه ثلاث من النساء يقدمن البخور اللوتس — ويوجد على جدران تلك المقبرة ١٠٥ سطر رأسى من الهروغليفى عن ذكر اعماله وغزواته

وقد أطلق العامة على هذه المقبرة اسم (اسطبل عنتر) وغير معلوم على وجه التحقيق منشأ هذه التسمية الشاذة أو سببها الا ما ورد فى بعض تواريخ المتأخرين من أن هذه المقبرة لاتساعها الكبير وارتفاعها عن المدينة فى الجبل الغربى عسكرت فيها فصيلة من سوارى الجيش الفرنسى بخيولها فاطلق ذلك الاسم عليها مجازا. Stable of Anter

وقبل أن أترك تاريخ اسيوط القديم أود أن ألفت النظر الى شىء له أهمية عظيمة مما يتصل باقليم

اسيوط وهو انه كان يعيش فى مغارات الجبل الشرقى قبالة النواورة والعمّانية (مركز البدارى) فى عصور متناهية فى القدم أول شعب عرف الزراعة والصناعة قبل عهود الاسر أى حوالى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد حيث كانوا يزرعون القمح والكتان وغيرهما على منواله يزيد عن حاجة استهلاكهم المحلى مما علمهم شيئا من التجارة فى شكل مقايضة كما انهم مهروا فى غزل الكتان ونسجه وكانوا يلبسونه كما يلبسون بعض الاحيان جلود الماعز . ويكاد يجمع كل المؤرخين على ان البداريين هم أول زراع وصناع ظهروا فى عالم الوجود

وفى ذلك الزمان السحيق ايضا اجادوا صناعات الفخار والخزف حتى ان خزفهم اكتسب شهرة عالمية فى التاريخ قلما يغفلها كتاب وضع عن تاريخ مصر القديم وامتازت اوانيهم الخزفية بدقة الصنع وكمال الاستدارة ، لونها أحمر غامق لامع وتحيط بها عند الفتحة حافة سوداء وهى رقيقة السمك ومتينة للغاية وصغيرة — كانت هذه الآنية من أهم ما يقتنيه ملوك الاسر وامراء الولايات للاستعمال اليومى لتناول الشراب أو لتدفن مع موميائهم حتى تكون كئوساً لهم يشربون بها رحيق الآخرة — واسمها العلمى فى التاريخ The Badarian Potter وقد حمل منه أمير اسيوط حيزيفا كمية كبيرة منها فى رحلته الى السودان ووجدت مدفونة فى مقبرته بالسكرمة .

ولقد كان لاهل اسيوط ميزة المعرفة والمدنية وقوة البأس كما كانت لهم الزعامة على أهل الصعيد كله . وهم مشهورون منذ القدم بحرصهم وذكائهم ودأبهم على تحصيل العلوم والفنون والتعمق فى البحث والاستقصاء . وقد نشأ بينهم فى القرن الثالث للميلاد ذلك الفيلسوف بلوتيناس Plo nus الذى ولد باسيوط فى سنة ٢٠٥ ميلادية وعند ما بلغ السابعة والعشرين من عمره رحل الى الاسكندريه ليدرس علوم الفلسفة فى مدرستها الكبرى التى كانت تعرف فى عهد ملوك البطالسة بدار التحف — فكان بلوتيناس بعد دراسته بها يعد من أكبر فلاسفة زمانه

وحسب الاسيوطيين فخرا أن نبغ منهم فى القرن الخامس عشر للميلاد عالم اسلامى كبير هو المرحوم الاستاذ جلال الدين الاسيوطى الذى ألف حوالى ٣٧٠ مجلد فى مختلف علوم الديانة الاسلامية وكثير منها يدرس بالجامعة الازهرية للآن — وقد كان نابغا ذكيا حفظ القرآن الكريم وأجاده كل الاجادة قبل أن يبلغ الثامنة من عمره . وكان زاهدا تقيا متفرغا للعلم كما كان فقيرا

معدما لا يملك شيئا متواضعا كل التواضع مع علمه الغزير

وقد كانت اسيوط الى عهد قريب أكبر سوق فى الصعيد لتجارة البضائع السودانية ومنتجات الواحات وبلاد المغرب حيث كانت ترد لها كل سنة قافلة مكونة من ألف من الابل تبدأ رحلتها من دارفور بالسودان مارة فى طريقها ببعض الواحات والآثار الرومانية القديمة المتناثرة على دروب الصحراء الملتوية وكانت تقطع تلك المسافة فى اربعين يوما كاملة تأتى بعدها لاسيوط بانواع شتى من حاصلات تلك الاصقاع وهى العاج الخام وقرن الخرتيت، واخشاب الصندل والابنوس والصمغ العربى وجلود الحيوانات المفترسة وريش النعام والتمر هندى وبعض حاصلات بلاد المغرب التى يحملونها من الواحات فوق ما جلبوا من السودان . وبعد أن تفرغ تلك القافلة احمالها العظيمة تعود الى السودان محملة بكثير من خيرات مصر وبضائعها ومصنوعاتها وبذلك كانت تروج التجارة والصناعة فى اسيوط وبخاصة صناعة التحف والأدوات العاجية والخشبية الدقيقة وصناعة الاثاث والجلود مثل سروج الخيل وأغمدة السيوف والخناجر وقرب الماء ولعل رواج تلك الصناعات حقبة من الدهر فى اسيوط هو السر فى مهارة اهلها الوراثية فى عصرنا الحاضر . ولقد توقف سير تلك القافلة على أثر امتداد السكك الحديدية والبواخر النيلية حتى اصبحت تربط الديار المصرية بأعالى النيل فى جنوب السودان

اما اسيوط الحديثة فهى كما كانت فى كل العصور وكما ستبقى أبد الدهر عاصمة الصعيد وأكبر مدنه أزدهارا وثراء وهى عاصمة مديرية اسيوط التى تعتبر أهم مديريات الوجه القبلى والمديريه الثانية فى الاهمية بين مديريات القطر كله

وقد انتشرت الثقافة الحديثة بين الاسيوطيين وكذا حب الرياضة والاجتماع حتى تعددت الاندية الرياضية فى المدينة وكذلك فى أهم عواصم مراكز المديرية

وقد انتشر بينهم التعليم لدرجة مشهودة محمودة حتى نبغ من بينهم كثير من العلماء ، وقادة الرأى فى هذه الديار فى عصرنا الحاضر

وانى اذ أشير الى التعليم فى هذه المدينة لا يفوتنى ان اذكر الكلية الامريكية باسيوط التى انشئت فى سنة ١٨٥٠ والتى لها فضل كبير فى نشر الثقافة الحديثة بين مختلف طبقات الشعب ولا تزال

تؤدى رسالتها الى يومنا هذا على الوجه الاكمل

وتقع مدينة اسيوط على مسافة ٣٧٦ كيلو متر جنوبى القاهرة عاصمة القطر المصرى — وهى مقامة على رقعة كبيرة من الارض تبلغ مساحتها ٣٠٠٠ فدان محصورة بين الجبل الغربى ونهر النيل جوها معتدل شتاء شديد الحرارة صيفا ولو ان جفافه يلطف من حدة الحرارة نوعا ما

ويبلغ عدد سكانها ٩٩ ١٣٩ نسمة وأهم اعلامها معهد فؤاد الاول التابع للجامعة الازهرية . الذى أمر بأنشائه ساكن الجنان المغفور له الملك فؤاد الاول وقد تم بناؤه على الطراز العربى الجميل وافتتح للدراسة فى أغسطس سنة ١٩٣٤

ومن أهم معالمها أيضاً قناطر اسيوط التى تقع شرقى المدينة وقد تم انشاؤها سنة ١٩٠٢ وتمت تقويتها فى مايو سنة ١٩٣٧ وتستعمل كقناطر حجز لتغذية الترعة الابراهيمية التى تأخذ مياهها من النيل امام تلك القناطر لتروى جميع اراضى الصعيد الواقعة بحرى المدينة حتى حدود القاهرة

وهى مشهورة الآن بصناعة التحف الخشبية التى تصنع من سن الفيل والابنوس والصندل والعود وكذا بصناعة التلى الذى يعجب به السائحون كثيرا ويقدمونه هدايا لذويهم عند عودتهم لبلادهم

كذلك تقدمت باسيوط صناعة السجاد المصرى بالوانه الطبيعية والمصبوغة واصبح يضارع فى جودته ودقة صنعه السجاد العجمى المشهور

ويزور اسيوط كل شتاء جمهرة كبيرة من السائحين لمشاهدة معالمها وآثارها حيث يصلون اليها من القاهرة بطريق النيل على بواخر مستكملة كل وسائل الراحة أو بطريق السكة الحديدية أو بالطائرات التى تسير بين المدينتين يوميا طوال السنة



الشتاء فى أوربا



الثلج الأبيض يكسو الأرض

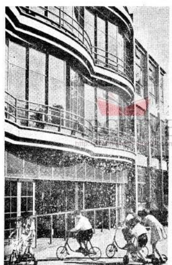
تجربة انجليزية جديدة

فى الصحة الاجتماعية والجسمية

فى بكهام أحد نواحى لندن بناء من الزجاج أو معظمه من الزجاج ينفذ ضوء الشمس الى كل مكان فيه فى النهار ويتلألأ فى الليل إذا اضيئت مصابيحه . وإذا سمينا هذا البناء ناديا فاننا نصيب . ولكنا نصيب ايضا إذا اطلقنا عليه اسم المطعم أو المصحة او المستوصف . بل ربما كان اسم النادى اقل الاسماء انطباقا عليه . ذلك لاننا قد ألفنا تأسيس الاندية لكى تضم طبقة معينة من الرجال أو من النساء يشترك أعضاؤها فى مستوى اجتماعى بحيث يتفقون فى الاذواق . ولكن هذا النادى واسمه الحقيق « مركز بيكهام الصحى » انشىء للعائلات فلا يجوز للاعزب ان يدخله . وانما يدخله الرجل وزوجته وأولاده . وجميعهم أعضاء فيه ولكل منهم وسائل التسلية الرياضية والثقافية كما يجد الطعام والشراب . والى هذا كله يجد العضو ما يضمن له الصحة . فان العائلة حين تلتحق يفحص عن اعضائها مهما كانت مظاهر العافية بادية عليهم . لان الفحص هنا لا يقصد منه البحث عن المرض فقط بل البحث عن الامارات الضعيفة الخفية الأولى التى تسبق المرض . وذلك ان كثيرا من المرضى يعانون الالام المختلفة لامراض مستعصية كان يمكن انذارهم بما سوف يقعون فيه لو انهم جعلوا الطبيب يفحص عنهم فحصا عاما تاما . مثال ذلك ان المرض السكرى يكمن فى الدم سنوات وليس له ادنى علامة تدل عليه الى ان يتفاقم فيظهر فى البول . والحمض البولى كذلك يختبىء صامتا مخامرا الى ان يثب وثبة مؤلمة فى احد الاعضاء فيظهر لنا فى شكل الروماتزم او غيره . وكان يمكن توقى هذين المرضين لو أن المريض حصل على انذار سابق . وهذا هو ما يقوم به اطباء « مركز بيكهام الصحى » فان كل عضو يفحص عنه ويحلل دمه ويبين له ما يجب عليه ان يتخذ من الحيطة لكى

يتجنب الوقوع في هذا المرض او ذاك فيقال له هذا الطعام مفيد وهذا مضر وهذا الوزن لجسمه يجب ان يزاد او ينقص . وهذه الرياضة المعينة لاتليق له فيتخذ غيرها مما يليق . وهلم جرا

ولكن صحة الجسم وحدها ليست هدف النادى . فان الصحة الاجتماعية هدف آخر . وذلك ان الاندية فى صميها تعد من المؤسسات التى لا تتفق كل الاتفاق وسعادة العائلة لان رب العائلة يترك بيته اى زوجته واولاده لكى يقصد الى خلانه واصدقائه فى النادى فالعائلة فى ناحية وربها فى ناحية . وأندية النساء كذلك ولكن هذا النادى اى هذا « المركز » يحتم على الرجل ان يحضر مع اعضاء عائلته وهو بالطبع لا يلازمهم طول مكثه فى النادى بل قد يفترق الجميع او قد يجمعون كما تشاء لهم الوان التسلية المختلفة ولكنهم جميعا فى كل وقت على مقربة بعضهم من البعض . والتعارف ليس بين فرد وفرد بل عائلة وعائلة . فالعائلة هنا تزداد تماسكا



مركز بكهام الصحى

والاجتماع يزداد قوة. ولذلك يمكن أن يسمى هذا «المركز» مؤسسا صحيا كما يمكن أن يسمى مؤسسا اجتماعيا

وفيما يلي بعض المعلومات عن هذا النادى ننقلها لكى نلفت النظر إلى امكان تأسيس ما يشبهه فى القاهرة. او على الاقل لكى يساعد على ايجاد العقلية الاجتماعية :

١ ـ النظرية الاولى فى النادى أن الوقاية خير من العلاج

٢ ـ فى النادى ملعب وحوض للسباحة ومسرح لتمثيل (من اعضاء النادى) وقهوة. ومحضن للاطفال. وغرف مختلفة للبليارد والشطرنج الخ

٣ ـ الاشتراك خمسة قروش لكل عائلة فى الاسبوع ونصف هذا المبلغ لكل ولد فى العائلة يزيد عمره على ١٦ سنة

٤ ـ يجب على كل عضو فى العائلة أن يتقدم للفحص الطبى فى مرات معينة طول العام

٥ ـ دخل النادى من الاشتراكات التى يؤديها الاعضاء ومن التبرعات. وقد تبرع اللورد نوفيلد بألف جنيه

حوض السباحة

٦ ـ هاك مثالا من الاعضاء الذين حضروا فى يوم من الشهر الماضى ٣٢٩ سيدة و ٢٣١ رجلا و ١٩٩ طفل بين الخامسة والسادسة عشر فالمجموع ٧٥٩. وبلغ مجموع من حضروا فى الأسبوع نفسه ٤٦٣٦

٧ ـ تبين من محادثة كثير من الاعضاء انه لم يكن لهم اصدقاء غير اقاربهم ولكنهم استطاعوا بهذا النادى أن يختلطوا وان تتسع علاقاتهم الاجتماعية وان يكسبوا اصدقاء من غير اقاربهم



الفحص الطبى

٨ ـ بالنادى اربعة اطباء وكيماوى مختص فى الكيمياء الحيوية يقومون بالفحص

٩ ـ ليست مهمة هؤلاء درس المرض بل درس الصحة

مستقبل الثقافة في مصر

للاستاذ عزمى الدويرى

أرغب قبل كل شيء فى أن أعلن للقراء أمراً قد يعد فى ظاهره تافها يسيراً ، ولكنه عندى وعند المدقق أمر خطير . أرغب فى أن أعلن للقراء أنى قرأت كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » كله وهو جزءان صفحاتهما ٥٥٠ — وهذا ليس بالشيء القليل لأمرين يسيرين ، أولهما أنى اعلم أن الكثيرين من النقاد أو الذين يعتبرون انفسهم نقاداً لا يقرأون ما يتصدون لنقده من الكتب . فبعضهم يكتفى بقراءة العنوان ، والكتاب ، عندهم يعرف من عنوانه او البعض الآخر قد يكلف نفسه شيئاً من العناء فيقرأ الفهرست أو يتصفح الكتاب كما يقال وعلى هذا الاساس يبنى رأيه ثم يكتب نقده الذى لا يخرج عن امرين لا ثالث لهما فهو اما ذم شنيع أو مدح شنيع كذلك !



الدكتور طه حسين بك

والأمر الثانى انى اقيم فى عاصمة أحد الأقاليم وأعرف طائفة كبيرة من المتعلمين ، أو من اعتدنا أن نعتبرهم متعلمين . أعرف طائفة كبيرة من الاطباء والمهندسين والمحامين والمدرسين وكبار الموظفين وأعرف أن أحدا من هؤلاء جميعاً لم يقرأ هذا الكتاب على الرغم من مكانة مؤلفه فى عالم الادب وعلى

الرغم من خطورة موضعه . بل أعرف أن أحدا منهم لم يسمع باسم هذا الكتاب . فهم منصرفون عن القراءة الجدية المثمرة الى تلك القراءة الهينة السهلة التى يستعان بها على قطع الوقت وتزجية الفراغ . هم منصرفون الى روايات الجيب وما الى روايات الجيب من السخافات. ومن يدمن روايات الجيب يستحيل عليه أن يطيل النظر فى كتب طه حسين وامثال طه حسين . وليسمح لى الدكتور ان انبئه عن يقين انه مسرف فى حسن الظن بالقراء اذ حسبهم قوما نياما ، مسرف أيضا فى حسن الظن بقدرته على ايقاظهم بما ينوى ان ينشره فى « الثقافة » من فصول عنيفة فى نقد الادباء المعاصرين. انهم ياسيدى الدكتور قوم أموات وما أحسبك تزعم القدرة على احياء الموتى . انا يائس يادكتور من إصلاح هذا الجيل و كنت يائسا من المستقبل . كنت يائسا من الجيل الجديد أيضا حتى قرأت كتابك « مستقبل الثقافة فى مصر » فانار أمامى السبيل. و تبدل يأسى رجاء وقنوطى املا . نعم كنت وطائفة من الشباب المثقفين يائسين من مستقبل الحياة الديمقراطية الصحيحة فى مصر . نتلفت حولنا فاذا نرى ؟ ثلاثة عشر مليونا أو أكثر من المصريين فى فقر مدقع وجهل مطبق . ثلاثة عشر مليونا أو أكثر من العبيد. فكيف السبيل الى تحريرهم ؟ بل كيف السبيل الى اطعامهم وتعليمهم ؟ وبكلمة كيف نرفعهم الى مستوى الانسانية ؟ هذه هى المسألة التى تحيرنا و تربكنا وتصدم أذهاننا بغموضها . فنستسلم الى اليأس والقنوط. و كيف لا نيأس ونحن ننظر الى القادرين الذين يتعلق بهم أملنا فنراهم نياما . ننظر الى السادة والقادة وذوى اليسار وأصحاب الثقافة والنفوذ فنراهم جامدين لا يتحركون لهذا الشقاء الذى يحيط بهم من كل صوب. ثم ننظر فنرى موجة الرجعية والاتجاه نحو الشرق تطغى على الحياة المصرية كلها وتغرق كل صوت يرتفع بالدعوة الى التجديد واصطناع حضارة القرن العشرين . صوت واحد كان دائبا فى الدعوة الى التجديد لا يبالى صياح الصائحين ولا صخب الصاخبين . هو صوت الكاتب المفكر الجرىء الاستاذ سلامه موسى . فقد كنا نقرأ له فى مقدمة كتابه « اليوم والغد » قوله : —

« كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت امامى اغراضى من الادب كما ازاوله. فهى تتخلص فى انه يجب علينا أن نخرج من آسيا ونلتحق باوربا . فانى كلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له وشعورى بانه غريب عنى ، وكلما زادت معرفتى باوربا زاد حبى لها وتعلقى بها وزاد شعورى بانها منى وانى منها » وقوله : — « انا كافر بالشرق مؤمن بالغرب . وفى كل ما اكتب احاول ان

اغرس فى ذهن القارىء تلك النزعات التى لتسمت بها اوربا فى العصر الحديث واجعل قرائى يولونا وجوههم نحو الغرب وينفصلون من الشرق لانى اعتقد ان لارجاء لنا فى النجاح فى العالم الا اذا تخلصنا مما اكتسبناه من العادات الشرقية فى نظام العائلة ونظام الحكومة والنظر للمرأة والنظر للادب حتى فى النظر للصناعات والمعايش»و كنا نقرأ قوله عن « الرابطة الشرقية » التى كانت قائمة بالقاهرة قبل بضع سنوات . — « ان هذه الرابطة أو الجامعة غير طبيعية . فلست احس ان هناك شيئاً يربطنى باليابانيين أو الصينيين الا هذه الرابطة الانسانية التى تسم كل شىء تقريبا ... والحقيقة انه يوجد بيننا وبين اوربا من الروابط ماهو امتن واقوى مما يوجد بيننا وبين الصينيين أو اليابانيين » أو قوله : — « ان العلماء يتجهون اليوم الى القول بان مصر هى التى افشت الحضارة فى العالم وان المصريين القدماء لم يكونوا امة شرقية . بل كانوا امة غربية الدم والمزاج . وان غربيتها هذه هى التى يسرت على اوربا اصطناع حضارة المصريين لأن الاوربيين وجدوا أن القائمين بهذه الحضارة يمتون اليهم بنسب الدم وقرابة العصب فلم يتوجسوا شرا من بدع المصريين بل نقلوها واصطنعوها وارتقوا بها . فاذا كانت الاقدار قد قيضت لآبائنا ان يخترعوا الحضارة ويشبوا بالانسان الى نورها فهل يليق بنا نحن ابناءهم الذين يجرى دم الفراعنة فى عروقنا ان نركد فلا نبتدع ولا نشب ؟

«كلا . اننا لن نكون حفدة اولئك الجدود العظام مالم نقف فى مقدمة الامم نعمل لخير العالم كما عملوا وننطوى على النية الحسنة التى انطووا عليها ونبشر بحضارة جديدة ونغامر من أجل رقى الانسان: نركب الطائرات ونخترع فيها . ونلتحق بتلك الشعوب التى تخرج منها هؤلاء الجدود فنلبس لباسهم ونسير سيرهم ونتثقف بثقافتهم »

كنا نستمع لهذا الصوت فيساور نفوسنا شىء من الامل ولكنه كان آملا ضعيفاً لان الصوت نفسه كان ضعيفا لايكاد يرتفع حتى يضيع صداه وسط تلك الجلبة العنيفة التى يثيرها الرجعيون والجامدون، فكنا نتألم اشد الالم ونروح نتساءل . لماذا ينفرد سلامه موسى دون سائر قادة الفكر فى مصر بهذه الدعوة الجريئة الى التجديد الجرىء والى اصطناع حضارة القرن العشرين بحذافيرها ؟ وكنا نتمنى على الله أن تنضم الى صوته أصوات أخرى نعلم علم اليقين ان اصحابها مجددون . بل مسرفون فى التجديد ليس فى ادبهم أو آرائهم فقط بل فى حياتهم أيضا . وقد حقق الله امنيتنا أتم تحقيق، فاخرج

لنا الزعيم العظيم طه حسين كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » فأثلج صدورنا ونفى عن نفوسنا اليأس ورد اليها الطمأنينة والثقة والأمل . ثم فلست اغالى اذا قلت ان عظمة طه حسين لم تتجل فى كتاب من كتبه كما تجلت فى هذا الكتاب الفذ . لقد بلا الدكتور طه حسين شؤون التربية والتعليم والثقافة زمنا طويلا وكان ينشر من حين الى آخر آراءه الجريئة فى هذه الشئون فى بعض الصحف والمجلات . وأخيراً سنحت له الفرصة فأملى هذا الكتاب الضخم الذى لم يدع كبيرة ولا صغيرة من شئون التربية والثقافة الا تناولها بالبحث والتمحيص فجاء كتاباً جامعاً مانعاً كما يقولون .

ويخيل الى أن المؤلف بذل جهدا كبيرا فى وضع هذا الكتاب فهو لم يتناول معضلات التربية والتعليم وشؤون الثقافة فى مصر فى سهولة ويسر . ولم ينظر اليها نظرة عابرة كما قد يفعل الكثيرون ممن يعالجون هذه المعضلات . ولكنه روى كثيرا وفكر كثيرا . ثم بحث ودقق فى البحث . يعينه فى بحثه وتفكيره اختبار طويل ومعاناة متصلة لهذه المعضلات جميعا . فلا جرم ان تكون نتيجة هذا البحث الدقيق والتفكير العميق هذه الثمرة الطيبة التى فصلت لنا شئون الثقافة فى مصر تفصيلا دقيقا ووقفتنا على أخطاء الماضى وواجبات المستقبل جميعا .

ولا يسع القارىء مهما كانت نزعته الا أن يعجب أشد الاعجاب بكثير من الخصال الجليلة السامية التى تشيع فى هذا الكتاب من أوله الى آخره . لا يسعه الا الاعجاب بديمقراطية المؤلف ، ونزعته الى حرية الفكر . وصراحته . وجرأته فى قول الحق . أو ما يعتقد أنه حق . وأخيرا لا يسعه الا الاعجاب بسلامة منطقه . ونصاعة تفكيره . وشعوره العميق بالمسئولية وبأنه انما يحمل امام نفسه وأمام أمته تبعات جساما . فيدفعه هذا الشعور الى أن يعالج هذه المعضلات التى أمامه بروح الصرامة والحزم والجد لا يلين ولا يفتر ولا يدارى بل يدلى بالرأى تلو الرأى ويقيم الدليل تلو الدليل غير آبه لسخط الساخطين أو صخب المنافقين .

وأحسب انه يكفى ان ألم الماماً خفيفاً الى بعض الموضوعات التى عالجها الدكتور طه حسين فى كتابه العظيم ليتبين لك انى لا اغالى ولا أتجنى على الحقيقة اذ اثنى على المؤلف الكبير هذا الثناء . بل ليتبين لك انى مهما أثنيت فلست ببالغ بعض ما له علينا من حق التقدير والاجلال .

مهد الدكتور للبحث بهذا السؤال : أمصر من الشرق الثقافى أم من الغرب الثقافى ؟ وهو لم

يشأ أن يجيب على هذا السؤال اجابة سريعة مقتضبة ولكنه أملى نحو ستين صفحة بحث فيها تاريخ مصر القديمة و الحديثة واتصالها بشعوب بحر الروم ونشأة العقل المصرى .وانتهى الى القول بأن العقل المصرى ليس شرقيا ولكنه غربى . ومن ثم فان السبيل أمام المصريين واضحـــة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء. وهى واحدة فذة ليس لها تعدد . وهى أن نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا . ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب . ومن زعم لنا غـــير ذلك فهو خادع أو مخدوع »..« وقد يقال أن الحضارة الاوربية مادية مسرفة فى المادية ، لا تتصل بالروح أولا تكاد تتصل به . وهى من أجل ذلك مصدر شر كثير تشقى به أوربا ويشقى به العالم كله أيضا . ثم يقال بعد ذلك أن أوربا نفسها قد زهدت فى حضارتها وضاقت بها . وأخذ جماعة من كتابها وعلمائها وفلاسفتها يرغبون عن هذه الحضارة ، ويلتمسون لقلوبهم وعقولهم غذاء فى روحية الشرق . أفنقبل على الحضارة الاوربية حين يزهد فيها الاوربيون ؟ ومالنا نكبر هذه الحضارة وقد أصغرها أصحابها ؟ وما لنا نترك الخير الذى يرغب فيه الاوربيون الى الشر الذى يرغب عنه الاوربيون ؟ أقرأت هذا ؟ إن بين المصريين خاصة والشرقيين عامة قوما يلاؤون به أفواههم ويجرون به أقلامهم ويلقون بـه فى نفوس الشباب فلا يلقون الا سما زعافا . من الحق أن الحضارة الاوربية عظيمة الحظ من المادية ولكن من الكلام الفارغ والسخف الذى لا يقف عنده عاقل أن يقال انها قليلة الحظ من المعانى السامية التى تغذو الارواح والقلوب . من الحق أن الحضارة الاوربية مادية المظاهر . وقد نجحت من هذه الناحية نجاحا باهرا . فوفقت الى العلم الحديث ، ثم الى الفنون التطبيقية الحديثة.ثم الى هذه؟ المخترعات التى غيرت وجه الارض وحياة الانسان . ولكن من أجهل الجهل وأخطأ الخطأ أن يقال أن هذه الحضارة المادية قد صدرت عن المادة الخالصة . انها نتيجة العقل.انها نتيجة الخيـــال . انها نتيجة الروح . انها نتيجة الروح الخصب المنتج الحى الذى يتصل بالعقل فيغذوه وينميه ويدفعه الى التفكير ثم الى الانتاج ثم الى استغلال الانتاج ، لا نتيجة هذا الروح العاكف على نفسه ،الفارغ،الفانى فيها الذى تفسد الاثرة عليه أمره فلا ينفع ولا ينتفع ولا يفيد ولا يستفيد » . ومن رأى الدكتور ان الدولة وحدها يجب أن تشرف على التعليم الاولى والثانوى مهما يكن وفى أى بيئة من

البيئات المصرية والاجنبية القائمة فى مصر . فيجب أن يكون لوزارة المعارف مفتشون يلاحظون التعليم الاولى والثانوى فى الازهر ويرفعون تقاريرهم عنــه الى الوزارة ويجب أن تشترك وزارة المعارف فى الامتحان لهذين النوعين من التعليم اشتراكا يمكنها من الاشراف عليه والرضى عنه ، هذه أمور تفرضها طبيعة الاشياء . ونحن نطلبها بالقياس الى الازهر كما نطلبها بالقياس الى التعليم الحر المصرى والاجنبى . وهناك شىء يجعل حاجة الازهر الى اشراف الدولة على تعليمــه الاولى والثانوى ضرورة ماسة فى هذا الطور من أطوار الحياة المصرية وهو أن الازهر بحكم تاريخه وتقاليده وواجباته الدينية بيئة محافظة تمثل العهد القديم والتفكير القديم أكثر مما تمثل العهد الحديث والتفكير الحديث . ولا بد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الازهر الى الملاءمة بين تفكيره وبين التفكير الحديث . والنتيجة الطبيعية لهذا اننا اذا تركنا الصبية والاحــداث للتعليم الازهرى الخالص ، عرضناهم لان يصاغوا صيغة قديمة . وباعدنا بينهم وبين الحياة الحديثة التى لا بد لهم من الاتصال بها والاشتراك فيها . وعرضناهم لطائفة غير قليلة من المصاعب التى تقوم فى سبيلهم حين يرشدون ، وحين ينهضون بأعباء الحياة العامة . فالمصلحة الوطنية العامة من جهة ، ومصلحة التلاميذ والطلاب الازهريين من جهة أخرى تقتضيان اشراف وزارة المعارف على التعليم الاولى والثانوى فى الازهر

ويرى المؤلف ان التعليم الاولى الالزامى ركن أساسى من أركان الحياة الديمقراطية الصحيحة ، فالدولة الديمقراطية ملزمة ان تنشر التعليم وتقوم عليـه لأغراض عدة . أولها ان هـذا التعليم الاولى أيسر وسيلة يجب أن تكون فى يد الفرد ليستطيع أن يعيش .

والثانى أن هذا التعليم الاولى أيسر وسيلة يجب أن تكون فى يد الدولة نفسها لتكوين الوحدة الوطنية واشعار الامة حقها فى الوجود الحر المستقل . وواجبها للدفاع عن هذا الوجود .

والثالث ان هــذا التعليم الاولى هو الوسيلة الوحيدة فى يد الدولة لتمكين الامة من البقاء والاستمرار لأنها بهذا التعليم الأولى تضمن وحدة التراث الوطنى اليسير الذى ينبغى ان تنقله الاجيال الى الاجيال . وأن يشترك فى تلقيه ونقله الافراد جميعاً فى كل جيـل . وليس الافراد مكلفون دفع الضرائب التى تمكن الدولة من البقاء اذا لم تضمن لهم الدولة أيسر ما يحتاجون اليه ليعيشوا وليكونوا أمة واحدة قادرة على الوجود ثم الخلود . واذا انتزعنا من رؤوسنا هذه الفكرة السخيفة التى تقول بان

الغرض من التعليم الاولى فى قطر كمصر انما هو محو الامية ، وجعل أبناء الشعب قارئين كاتبين فى اقصر وقت ممكن بحيث يكتفى من المعلم بالقدرة على تعليم الصبية القراءة والكتابة وأوليات الحساب ؟ اذا انتزعنا من رؤوسنا هذه الفكرة واقتنعنا بان التعليم الاولى أهم وأقوم وأعمق من تعليم القراءة والكتابة والحساب ، فقد يجب علينا ألا نكتفى بالمعلم الاولى كما هو الآن . ويشترط الدكتور الحصول على الشهادة الثانوية لدخول الطلاب مدارس المعلمين الاولية بل يذهب الى أكثر من ذلك فيقول : ان الشيء الذى لاشك فيه أن التعليم الجامعى اذا أضيفت اليه أصول التربية التى تتصل بحياة الطفل وتنشئته كان أقرب للنهوض بأعباء التعليم الاولى من أى شيء آخر .

ثم يقول « ومن أغرب التناقض أن نزدرى المعلم الاولى أو ننظر اليه نظرة عطف واشفاق خير منهما الازدراء ، ثم نطلب اليه ونلح عليه فى أن يشيع فى نفوس أبنائنا العزة والكرامة والحرية والاستقلال .

« ولا أعرف شرا على الحياة العقلية فى مصر من أن يكون المعلم الاولى كما هو الآن عندنا سيء الحال منكسر النفس ، محدود الامل ، شاعرا بانه يحتل أهون الطبقات فى وزارة المعارف شأنا . »

ينتقل بنا المؤلف بعد ذلك الى التعليم الثانوى فيقول « والخطأ كل الخطأ أن ننظر الى التعليم الثانوى على انه لون من الوان الترف . وفن من فنون المتاع الذى يمكن الاستغناء عنه . والاكتفاء بما هو دونه . فليس التعليم الثانوى ترفا ولا متاعا . بل ليس التعليم العالى ترفا ولا متاعا . بل ليس هناك نوع من التعليم يمكن ان يكون ترفا أو متاعا . وانما التعليم كله على اختلاف انواعه وفروعه ضرورة من ضرورات الحياة فى أى أمة متحضرة وابواب التعليم على اختلاف فروعه يجب أن تكون مفتوحة للناس على اختلاف منازلهم . »

وانت تعلم أيها القارىء أن بين المصريين قوما يكرهون التوسع فى التعليم العام والتوسع فى التعليم العالى لان الشبان الذين يخرجون من المدارس والكليات يكثرون ويضخم عددهم فى كل عام ومناصب الحكومة محدودة . والاعمال الحرة مسدودة وتوشك ان تضيق بهؤلاء الشبان اذا اطرد توسع الدولة فى نشر التعليم العام . فامر هؤلاء الشباب صائر اذن الى البطالة . والبطالة منتجة للقلق ثم الى السخط ، ثم الى اضطراب النظام الاجتماعى . هكذا يفكر فريق من المصريين

فانظر الى الدكتور طه حسين كيف يرد عليهم فى هذا الفصل الرائع من فصول الكتاب . وانظر اليه كيف يلزمهم الحجة ويقول لهم « صحيح ان مشكلة بطالة المتعلمين خطر على الاخلاق ، وهى خطر على النظام الاجتماعى نفسه . لانها تدفع الشباب الذين لا يجدون عملا يكسبون منه القوت الى كثير من الآثام والموبقات . ولأنها تذيع السخط فى نفوس الشباب وتدفعهم الى بغض النظام الاجتماعى والضيق به ثم الى انكاره والخروج عليه . كل هذا خطر لا شك فيه . ولكنه لا يعالج بتضييق التعليم . ولا بانشاء نظام الطبقات . ولا باحتكار العلم لطائفة قليلة . وفرض الجهل على كثرة الشعب . وانما يعالج باصلاح النظام الاجتماعى نفسه ، وجعله قادرا على أن يتيح لأبناء الوطن جميعاً أن يعيشوا على أرض الوطن وأن يعيشوا من كدهم وجدهم وعلمهم . ولا أن يتكلف بعضهم الجدو الكدو لوان العناء لينعم بعضهم الآخر بالبطالة والكسل والفراغ . ولا أن يذوق بعضهم البؤس الذى ليس بعده بؤس ويشقى بعضهم بالشك الذى ليس بعده ضنك ، ليستمتع بعضهم بهذا النعيم الآثم البغيض الذى يبدد فيه المال ، وتمتهن فيه الكرامة ، وتبتذل فيه الفضيلة ويستحيل فيه الانسان الى حيوان تقوم حياته كلها على ارضاء الخسيس من الغرائز والشهوات .

لن تعالج أزمة البطالة باكراه الشعب على الجهل ، وانما تعالج بفتح أبواب التعليم للشعب على مصاريعها ، وبالاسراع فى ذلك حتى يرشد الشعب ، وحتى يرى ما فى حياته من خير فيستزيد منه ، وما فى حياته من شر فيصلحه أو يلغيه الغاء

يجب ان يتعلم الشعب الى اقصى حدود التعليم ، فى ذلك وحده الوسيلة الى أن يعرف الشعب مواضع الظلم ، والى ان يحاسب الشعب هؤلاء الذين يظلمونه ويذلونه ويستأثرون بثمرات عمله وجده فيردهم الى الانصاف والعدل ، ويضطرهم الى أن يؤمنوا بالمساواة قولا وعملا ، والى أن يحققوا المساواة فى سيرتهم ، لا فى هذه الالفاظ الجوفاء التى يضللون الناس بها تضليلا . اذا تعلم ابناء الشعب عرفوا ما لهم من حق فى حياتهم الداخليه فلم يسمحوا لقلة مهما تكن ان تظلم الكثرة ، وعرفوا مالهم من حق فى حياتهم الخارجية فلم يسمحوا لدولة مهما تكن أن تظلم مصر أو تستذلها . التعليم ، والتعليم وحده ، على ان يكون صحيحاً مستقيم الأساليب ، هو الذى يضمن للمصريين العدل والمساواة فيما بينهم وبين انفسهم . والعزة والكرامة فيما بينهم وبين الاجنبى »

وبعد فانى أستطيع ان أمضى فى الاقتباس من الكتاب على هذا المنوال ولـــكن صفحات المجلة محدودة فلاقصر على الرغم منى ، واكتفى باشارات موجزة الى بعض المعضلات التى عالجها الدكتور بحذق ليس بعده حذق . فمنها مشكلة اعداد المعلمين للتعليم العام ومشكلة الامتحانات . والكتب التعليمية المقررة . والغرض من التعليم العام وضرورة الايمان بمهمة التعليم العام والشعور بخطره وقدســيته فى نفوس المعلمـــين والمشرفين عليـــه . وتعليم اليونانيـــة واللاتينيـــه ومشكلة تعليم اللغة العربية . والازهر واللغة العربية وحق الدولة فى اعداد معـــلم اللغة العربية وسبيلها الى ذلك . والتعليم العالى ومشكلاته والتعليم الدينى فى الازهر . والتعليم الدينى للاقباط . والانتاج العقلى . والترجمة والنقل من اللغات الاوربية وأثرها فى توجيه الثقافة. ووجوب انشاء مكتب للترجمة من اللغات الاوربية.وقلة انتاج المثقفين واسبابها . وخطر السينما على التمثيـــــل . ووجوب حماية التمثيل والعناية به . وواجب مصر نحو الاقطار العربية . الخ الخ . .

ولا يسعنى قبل ان اختم هذا الفصل الا ان اشير اشارة قصيرة الى بعض الآراء الناصعة التى شاعت فى صفحات الكتاب : —

فاللغة العربية هى لغتنا الوطنية فنحن نتعلمها ونعلمها لانها جزء مقوم لوطنيتنا ولشخصيتنا القومية لانها تنقل الينا آثار آبائنا وتنقل عنا التراث الذى سننقله الى الاجيال المقبلة.ثم لانها الاداة الطبيعية التى نصطنعها فى كل يوم بل فى كل لحظة ليفهم بعضنا بعضا .ولنفهم أنفسنا أيضا. لاننا لانفهم أنفسنا الا بالتفكير ونحن لا نفكر فى الهواء ولـكننا نفكر بالفاظ هذه اللغة . . فنحن اذن نتعلم اللغة العربية ونعلمها لانها ضرورة من ضرورات حياتنا الفردية والاجتماعية . . واذن فنحن لانتعلم اللغة العربية ولا نعلمها لانها لغة الدين فحسب ، وانما نتعلمها ونعلمها لانها أوسع من ذلك وأشمل واعم . ونحن لا نتعلم اللغة العربية ونعلمها لانها لغة القدماء من العرب والمستعربين ، وانما نتعلمها ونعلمهـا لانها لغتهم ولانها لغتنا ولانها لغة الاجيال المقبلة أيضا أو لاننا نريد أن تظل لغة لهذه الأجيال

وفى الارض امم مدينة كما يقولون ، وليست اقل منا ايثارا لدينها ولا احتفاظاً به ولا حرصاً عليه ، ولكنها تقبل فى غير مشقة ولاجهد ان تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التى تفكر بها وتصطنعها

لتأدية أغراضها ، ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية التي تقرأ فيها كتبها المقدسة وتؤدى فيها صلاتها . فاللاتينية مثلا هي اللغة الدينية لفريق من المسيحيين ، واليونانية هي اللغة الدينية لفريق آخر والقبطية هي اللغة الدينية لفريق ثالث ، والسريانية هي اللغة الدينية لفريق رابع وهذه الاجيال من الناس نصرانية تؤمن بقياناتها كما نؤمن نحن بالاسلام ، لا يمنعها من ذلك انها تتكلم في حياتها العادية والعقلية لغات اخرى غير هذه اللغات المقدسة . . فالذين يزعمون انا نتكلم العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب ، ثم يرتبون على ذلك النتائج العلمية والعملية انما يخدعون انفسهم أو يخدعون الناس . وليس ينبغي ان تقوم حياة الامم على الخداع . ويمضي الدكتور في هذا التدليل المنطقي السليم فينتهي الى القول بان اللغة العربية ليست ملكا لرجال الدين يؤمنون وحدهم من دونها ويتصرفون وحدهم فيها . ولكنها ملك الذين يتكلمونها جميعاً من الامم والاجيال وكل فرد من هؤلاء الناس حر في ان يتصرف في اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التي تبيح له هذا التصرف .

واذن من السخف ان يقصر تعليم اللغة العربية وقفاً على الازهر والأزهريين . ومن حق الدولة بل من الحق عليها ان تعد المعلمين للغة العربية كما تعد المعلمين للتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء . .

وقد كان الدكتور موفقاً الى أبعد حدود التوفيق في قوله ان اعداد رجال الدين المسيحي لاخواننا الاقباط محتاج الى عناية خاصة من الدولة ، ومن الاقباط أنفسهم ، لاسباب طبيعية يسيرة فان الاقباط مصريون يؤدون الواجبات الوطنية كاملة كما يؤديها المسلمون ويستمتعون بالحقوق الوطنية كاملة كما يستمتع بها المسلمون . ولهم على الدولة التي يؤدون اليها الضرائب وعلى الوطن الذي يذودون عنه ، ويشاركون في العناية بمرافقه ما للمسلمين من الحق في العناية بتعليمهم وتقويمهم وتثقيفهم على احسن وجه واكمله . وقد قرر الدستور المصري الذي نؤمن به جميعاً ان المصريين سواء في الحقوق والواجبات ، لم يفرق في هذه المساواة بين المسلمين وغير المسلمين .

ورجال الدين المسيحي سيتصلون بالصبية والشباب من الاقباط يعلمونهم دينهم ويقومونهم فيه فلا بد من ان تتحقق الملاءمة بينهم وبين المعلمين المدنيين لتتحقق الملاءمة بين الثقافة الدينية التي

يحملونها الى هؤلاء الصبية والثقافة المدنية التى يحملها اليهم المعلمون المدنيون . وحتى يعصم الصبية من التناقض الشنيع الذى يكون بين ما يلقيه اليهم المعلم وما يلقيه اليهم القسيس ان وكل هذا التعليم الى القسيسين .

. . واتصال القسيسين بالمؤمنين من الاقباط اشد من اتصال رجال الدين بطبقات المسلمين كما هو معروف. فلا بد اذن من ان يثقف هؤلاء القسيسون تثقيفاً ملائماً للحياة الحديثة وللعصر الحديث حتى لا يحملوا الى الناس باسم الدين ثقافة تضطرهم الى الحيرة والاضطراب والعجز عن احتمال اعباء الحياة المدنية

والكنيسة المصرية مجد مصرى قديم ومقوم من مقومات الوطن المصرى. فلا بد من ان يكون مجدها الحديث ملائماً لمجدها القديم . ولا ينبغى ان نخلى بين رجالها وبين هذه المحافظة الخاطئة التى قد تغض من هذا المجد وتضع من قدره. وما ينبغى ان نلائم بين رجال الكنيسة القبطية ورجال الكنائس الاخرى فترى هذه الفروق التى أقل ما توصف به أنها لا تلائم الكرامة المصرية ولا ينبغى ان يرضى عنها المصريون . ونتيجة هذا كله ان الدولة المصرية والكنيسة القبطية يجب ان تتعاونا على اصلاح التعليم الديني المسيحى وتنظيم المعاهد التى تخرج القسيسين والرهبان . . وليست اللغة العربية لغة المسلمين وحدهم ولكنها لغة الذين يتكلمونها مهما تختلف اديانهم " ومادام الاقباط مصريين ومادامت اللغة العربية " مقوما من مقومات الوحدة المصرية والوطن المصرى فلا بد من يثقف بها الاقباط كما يثقف بها المسلمون . ولا بد من ان يثقف بها رجال الدين من الاقباط كما يثقف بها رجال الدين من المسلمين . .

وانظر الى رأى الدكتور فى الانتاج الأدبى والادباء المحدثين اذ يقول . . . أدركنا هذا العهد الذى التقى فيه جيلان من الادباء المثقفين ، نزل احدهما عن حتى عن رجولته ، فأصبح ظلا للمنعم عليه بالقليل أو بالكثير . ونزل احدهما الاخر عن كل شيء فى سبيل هذه الرجولة . فاضطر السادة والقادة والاغنياء والمترفين لا ان يكبروه ويقدروه فحسب بل ان يتملقوه ويترضوه ويصبحوا ظلاله فى بعض الاحيان. فهذا هو الفتح الاول الذى ظفر به الجيل الحديث من المثقفين . وهناك فتح اخر ليس اقل منه خطر ولا اهون منه شأنا وهو هذا الذى انتهى اليه ادباؤنا حين ثبتوا لمقاومة الشعب وتنكر

السلطان وكيد السياسة ، حتى كتب لهم النصر على هذا كله . وانتصرت آراؤهم ومقالاتهم على الرغم مما احتملوا من العنف . وما اضطروا اليه من ضيق وما خضعوا له من الفتنة فى أنفسهم وأخلاقهم وفى حريتهم : فمنهم من اضطر الى الجوع ومنهم من عرف الفاقة ، ومنهم من ذاق حياة السجن ، ومنهم من تعرض لألوان من الخطر قد تكون اشد من هذا كله واسوأ عقبى . ولا يكتفى الدكتور بأن يظفر الادباء من تشجيع الدولة اياهم بالمال وحده لان هناك شيئا آخر لعله أعظم خطراً من المال وهو الحرية . فالادباء عندنا ليسوا احراراً لا بالقياس الى الدولة ولا بالقياس الى القراء . وما اكبر النبوغ الذى يضيع هدراً لأنه يكظم نفسه ، ويكرهها على الاعراض عن الانتاج خوفاً من الدولة أو خوفا من القراء ، فليس كل موضوع يعرض للاديب عندنا تسيغه القوانين ويحتمله النظام ويرضى عنه ذوق الجمهور . ولعل ما يباح للادباء أن يتعرضوا له وينتجوا فيه أن يكون اقل جدا مما يحظر عليهم أن يتناولوه ويخوضوا فيه . ما اكثر الذين يعيبون ادباءنا بأنهم لا يتصلون بالشعب ولا يصورون حياته كما هى ، ويتهمونهم ظلماً ، لانهم يتكلفون الارستقراطية ويصطنعون الامتياز . ولكن دع ادباءنا يتصلون بطبقات الشعب فيصوروا آلامها وحياتها البائسة ، ثم انتظر بعد ذلك ما سيصب عليهم من اللوم ، وما سيهيأ لهم من النكير ، وما سيوجه اليهم من التهم ، وما سينالهم من المكروه

ما اكثر ما يعاب ادباؤنا بأنهم لا يؤمنون الا بظواهر النفوس ولا يصورون دخائلها ، ولا يتعمقون فى ضمائرها ، ولا يرسمون شيئا من ذلك فيما ينتجون ، ولكن دعهم يفعلون ما يلاءمون امثاله ، ودعهم يظهرون النفس الانسانية عارية كما يفعل زملاؤهم الاوربيون . . . دعهم يفعلون ذلك ثم انتظر ما يصب عليهم الجمهور ورجال الدين وادارة الامن العام والنيابة من المكروه . .

هذا ولا الاحظ على كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » سوى أمرين يسيرين جدا ، ليسا فى صميم الموضوع ولكنهما على الهامش كما يقال : أولهما ان الكتاب مبوب تبويبا منطقيا دقيقا مفصلا ولهذا التبويب فهرست فى آخر الكتاب أو على وجه الدقة فى آخر الجزء الثانى من الكتاب . ولكنك تفتح الكتاب وتمضى فى القراءة فلا تجد أثرا لهذا التبويب الدقيق المفصل بل تجد بدلا منه ارقاما مسلسلة تبدأ بالرقم ١ فى الجزء الأول وتنتهى بالرقم ٦٠ فى الجز الثانى . وأنا لا أفهم الحكمة فى هذا . ولعله أن يكون أسلوبا جديدا من أساليب التبويب . ولعل

الدكتور يرشدنا الى وجه الصواب فيه . والامر الثانى هو ان الدكتور يسمى الحضارة الراهنة فى الغرب « الحضارة الاوربية » فليسمح لى أن اعترض على هذه التسمية لانها أولا ليست حضارة أوربا وحدها ولكنها حضارة امريكا ايضا . ولانها ليست حضارة اوربية خالصة ولكنها حضارة الانسانية كلها . فالانسانية كلها تقريبا ساهمت فيها قليلا أو كثيرا . ويعلم الدكتور أن الفراعنة هم أول من اخترع الحضارة على ضفاف النيل وانها انساحت من هذا الوادى الى العالم كله فانتقلت الى الاغريق والرومان والعرب ثم الى أوربا فى العصر الحديث . فنحن اذن نتجنى على الحقيقة والتاريخ اذا أسميناها «الحضارة الاوربية» أو « الحضارة الغربية»وخير تسمية لها فى رأيى هى « حضارة القرن العشرين » ولعل هذه التسمية أن تجعل الشرقيين أو من يحسبون أنفسهم شرقيين لا يصدون ولا يتوجسون خيفة من اصطناع تلك الحضارة . أما اذا قلنا « الحضارة الاوربية » فقد ألقينا فى نفوسهم الخوف والاشفاق من أوربا وما يصدر عن أوربا . وأنى أشاطر الدكتور رأيه فى أنه يجب على المصريين أن يصطنعوا حضارة القرن العشرين بكل ما فيها من خير وشر وحلو ومر لاننا نحن الذين أوجدنا الحضارة التى بلغت من الرقى والقوة مبلغا كبيرا فى هذا القرن،فاذا اصطنعناها فانها بضاعتنا ردت الينا بعد أن شاركت الانسانية فى رقيها وتقدمها .

وبعد فانى معجب أشد الاعجاب بكتاب الدكتور ، معجب بكل فصل من فصوله ، معجب بهذه الاراء الحرة الجريئة المبثة فى كل صفحة منه . وعندى انه يجب على أولى الامر أن يسارعوا الى اتخاذ هذا الكتاب دستورا لشئون التربية والتعليم والثقافة فى مصر . بل أنه هو الدستور الذى نحن منتهون اليه فى وقت قريب أو بعيد سواء أردنا ذلك أم لم نرده لان ظروف الحياة وعوامل التقدم والرقى ستضطرنا اليه اضطرارا!!!



قناة السويس ومستقبلها

نشرت مجلة سبكتاتور الانجليزية مقالا للسر ارنولد ولسون العضو فى مجلس النواب البريطانى عن قناة السويس ضمنه آراء ومقترحات غريبة آثرنا ان يقف عليها القراء لكى يعرفوا مايجرى فى أذهان بعض الانجليز بشأن القناة . وننشر هنا خلاصة المقال فيما يلى :

ان قناتى بناما والسويس تعدان من الامثلة التاريخية الهندسية التى غيرت مجرى التاريخ والتجارة . فان قناة بناما تملكها حكومة الاولايات المتحدة وهى التى حفرتها وهى التى تديرها كأنها احدى المصالح الحكومية . وقد احتاج الرئيس تيودور روزفلت الى ان يفصل بناما من كولومبيا . ولكى يصل الى هذه الغاية انخذ من اساليب المعاملة لجمهورية كولمبيا مايحسن اغفاله . ولولا قناة السويس لبقيت مصر الى الان اقليما من اقاليم تركيا .

وقد كانت كراهية اللورد بالمرستون رئيس الوزارة الانجليزية كذلك الباب العالى فى استانبول قبول مقترحات دلسبس الخاصة بانشاء القناة قائمة على اعتقاد أن هذه القناة سوف تهدم سيادة تركيا فى الشاطىء الجنوبى من البحر الابيض المتوسط . وهذا كله من التاريخ ولكنه يشع ضوءا على اصرار الحكومة المصرية على ان تصير المالكة للقناة بعد سنة ١٩٦٨ حين تنتهى مدة امتياز الشركة وعلى رفضها تجديد هذا الامتياز

ولكن السياسة الدولية لم تكن الهم الاكبر عند دلسبس ازاء الهموم المالية ولو لم يشتر سعيد باشا اسهما من الشركة بمقدار ستين مليون فرنك لما استطاعت الشركة ان تسير فى عملها وقد حاول دلسبس ان يبيع القناة للدول البحرية سنة ١٨٧١ ولكن عرضه قوبل بفتور وان كان اللورد دربى كان يرى ان تحال القناة الى لجنة دولية تديرها كمصلحة عامة غير ان الباب العالى رفض هذا الاقتراح وآثر عليه ان تكون بريطانيا نفسها هى المالكة للقناة . وقصد دلسبس الى لندن

لكي يتمم الصفقة على هذه القواعد ولكن المستر جلادستون رفض البحث في هذا الموضوع

ولكن التيار انعكس . فان سعيد باشا وخلفه اسماعيل باشا كانا قد وقعا في دين يبلغ مائة مليون جنيه في ثلاث عشرة سنة . ولم يكن هناك ما يمكن بيعه غير أسهم القناة فاشتراها دزرائيلي للحكومة البريطانية وكان هذا مما أثار دهشة جلادستون الذي كتب الى اللورد جرانفيل يقول :

« هل تسلطنا على القناة مدى الحرب تختلف من سيادتنا على البحر المتوسط ، وهل لمصر قيمة في هذا التسلط ، واذا لم يكن الامر كذلك فان التسلط على القناة هو عبء حربي جديد لنا »

ولم يقدر هو ولا دزرائيلي عقب شراء الحكومة لـ ٤٦ في المائة من الاسهم انه ليس لبريطانيا مثل هذا القدر المئوى في أدارة القناة أو الرقابة عليها . لأن شروط الشركة كانت (ولاتزال) تنص على أنه لا يجوز لحامل الاسهم ان يكون له أكثر من عشر أصوات مهما كان عدد الاسهم التي يحملها وقد استطاع ان يحمل الشركة على تعيين ثلاثة أعضاء من ٣٢ عضواً في مجلس ادارتها . وقد أضيف الى هؤلاء سبعة مندوبين غير رسميين . ولكن نفوذ هؤلاء كان ضعيفا

وطلبات ايطاليا الحديثة التي يمكن استنتاجها من الخطب والتصريحات هي ثلاثة . تجارية وسياسية وحربية . فهي أولا تطلب خفض الرسوم . ولولا الحاجة الى الارباح العالية لامكن خفض الرسوم الى النصف ويبلغ الربح من ذلك ٦ في المائة أو أكثر . ولكن هذا الخفض الاجباري يعد مجحفا بحملة الاسهم الفرنسيين وخاصة اولئك الذين لم يشتروا اسهمهم من زمن بعيد . وقد اقترح ان ينقل عددا من اسهم الحكومة البريطانية الى ايطاليا . ولكن هذا لن يجدى لان هذه الاسهم لا تمنح حاملها حق التمثيل في مجلس الادارة

أما من الناحية السياسية فان ايطاليا ترغب في الاعتراف العملي المكشوف باتفاق سنة ١٨٨٨ وهو الاتفاق الذي ينص على بقاء القناة مفتوحة لجميع السفن حتى البوارج وقت الحرب وفي اى الظروف وان القناة تبقى تحت حماية اوربا جميعها . وهذا هو رأى اللورد دربي سنة ١٨٧٧ حين أنذر روسيا وأبلغها انها لن يمكنها لا هي ولا تركيا ان تسد القناة أو تحاصرها . وهذا الرأى يختلف قليلا من الذى ابداه جلادستون لمجلس العموم سنة ١٨٨٣ حين قال :—

« إننا لم نشترك في استخدام نفوذنا الذى نلناه بمركزنا الوقتى والشاذ في مصر لكي ننقص اى

حق مكتسب بالقانون . ولن نستطيع ان نتعهد بأن نقوم بأى عمل يخالف الاعتراف بأن القناة قد حفرت لمصلحة جميع الامم وان الحقوق المتصلة بها هى من المصالح الاوربية العامة »

وأما من الناحية الحربية فان ايطاليا ترتكز هنا على موقفها السياسى . وربما هى تطلب ضمانا بأن القناة لن تقفل فى وجهها لأى سبب كان الا بالحصار الذى يحدد بثلاثة أميال خارج القناة . وهو الحد الذى يخضع له جميع الامم مدة الحرب

وليس للقناة الآن مركز دولى . ولا يمكن هذا إلا بالاتفاق بين الدول . واتفاق سنة ١٨٨٨ لم يجعل القناة محايدة بل جعلها عمومية من حيث انها اصبحت ممرا حرا للمتحاربين . ويمكن أن نفهم رأى الحكومة الايطالية بأن نضع نفسنا مكانها فى ممتلكاتها الافريقية وبأن نذكر أيضا ماكان يقوله بعض أعضاء مجلس العموم سنة ١٩٣٥ من دعوة الحكومة البريطانية لان تجبر حكومة مصر على مطالبة شركة القناة (ومركز ادارتها فى باريس) بأن تقفل القناة فى وجه البوارج والبواخر الايطالية

والآن ماهى القواعد التى يمكننا أن نصل بها الى تسوية دائمة ؟ لن يكون هذا باستبقاء المركز الحاضر أو باعادة توزيع الاسهم والمقاعد فى مجلس الادارة . ولكن فى يد الحكومة المصرية مفتاح الحل العادل فان فى مستطاعها — إذا قبلت الحكومتان الفرنسية والانجليزية — ان تنهى الامتياز الحاضر وهو لا يزال باقيا له ثلاثون سنة ثم تشترى الاسهم الحاضرة وتدير بنفسها القناة باعتبارها مصلحة حكومية قامت ببنائها أيد مصرية واستخدم فيها المال المصرى . وهى بلا شك عند ما يتم لها هذا سوف تستبق الموظفين الحاضرين فى الشركة وهم ممن لا يشك فى كفاءتهم كما تقبل أيضا هيئة دولية استشارية تمنحها حقوقا كبيرة للادارة ويكون فى هذه الهيئة أعضاء من الدولة التى تستخدم القناة أكثر من غيرها

ويمكن الحكومة المصرية باعتبارها إحدى دول البحر المتوسط التى تنتظر مستقبلا عظيما امامها أن تأخذ على نفسها ادارة القناة كمصلحة عامة مع قليل من الربح . وقد قال سعد زغلول باشا حين كان وزير الحقانية فى ١٦ مارس سنة ١٩١٠ امام الجمعية التشريعية انه عند ما تعود القناة الى مصر فأنها أى مصر تضطر إلى أن تجعل المرور فى القناة بالمجان وتنزل عن الربح الذى تنتظره من امتلاكها لها . وقد اتبعت الولايات المتحدة فى قناة بناما مثل هذا الاقتراح وعاد عليها بالفوائد الجليلة

ومثل هذه الخطة ستؤدى الى خسارة مالية هى الفرق بين القيمة الحاضرة للاسهم وبين القيمة الاصلية . وهذا دون احتساب موجودات الشركة وهى عالية الثمن ودون احتساب المبلغ الذى تدفعه الحكومة المصرية للشركة كثمن للمواد المنقولة والظن ان مجموع هذه المبالغ يصل الى ١٥ مليون جنيه . وهو مبلغ يعد صغيرا فى جنب العدالة الدولية فقد مضى الزمن حين كان يمكن شركة تجارية مهما كانت كفاءتها ان تقعد متربعة فوق ممر دولى تفرض على المرور فيه المكوس وكأنها لاتبالى العواقب التجارية لمكوسها والصدى السياسى لهذه العواقب

السويس

السويس فى تطور لا ينقطع بهمة محافظها الحالى الاستاذ احمد راسم بك . واذا استمر هذا المحافظ على نشاطه فانه لن تمضى مدة طويلة حتى تكون هذه المدينة قد اصبحت مشتى ومصيفا للوطنيين والاجانب معا . وحسبنا ان نذكر بعض ما قام به المحافظ إلى الان

١ — لفت نظر الامة والحكومة معا الى جبل عتاقة الذى يحتضن السويس ويبلغ ارتفاعه ٩٠٠ متر وبين مزاياه فى ان يكون مشتى بديعا لا مثيل له الى الان فى مصر

٢ — انشأ متحفا يحوى مئات الصور والتماثيل

٣ — سعى حتى تقرر انشاء قسم خاص للاحياء المائية يضم الى المتحف

٤ — سعى حتى تقرر انشاء طريق بين السويس والاسماعلية تقوم بمعظم نفقاته شركة قناة السويس

٥ — استطاع أن يتفق مع بنك مصر على ان ينشىء فندقا يسع ثلاثين غرفة غير الكبابين للزائرين من سكان القاهرة

هذا هو بعض ما قام به راسم بك مع انه لم تمض عليه أشهر فى منصبه . ومن هنا نعرف مقدار الفائدة التى تعود على مدننا من المدير او المحافظ النشيط . ويذكرنا هذا النشاط بما قام به الشاذلى باشا فى أسيوط حين ردم البركة التى كانت تكفل لعاصمة الصعيد عشرين او ثلاثين مرضا مختلفا



هذه الصورة لسيدة في كامل ملابسها وزينتها . وقد اخذت بأشعة رونتجن . وقد بلعت السيدة ساقات البار يوم قبل تصويرها فظهرت احشاؤها لأن هذا المركب معدني . كما ظهرت العظام والسواران والخاتم

ترغيد الحياة في الريف

الدكتور ابراهيم رشاد بك مدير التعاون

إن ترغيد الحياة فى الريف ، لايمكن أن يتحقق إلا بعد أن تتغير نفسية المفكرين فى بلادنا ، وتتقرر قواعد جديدة تختلف عن القواعد القائمة . وإلا فكيف يمكن أن نرسم قواعد لهذا الترغيد ، وأكثر المفكرين عندنا لايزال ينظر إلى الفلاح على أنه عامل من عوامل الانتاج لا أكثر ولا أقل . فمثله عندهم مثل تربة الأرض ، أو النبات الذى تنبته ، أو الحيوان الذى يعمل فيها .

فاذا تحرك هؤلاء إلى العناية بالفلاح ، فلا تزيد عنايتهم على أن يستغلوه لانتاج الثروة التى يريدون ، وليتهم أخلصوا حتى فى هذه الناحية ، فان خوفهم من إيقاظه وتنبيهه إلى أنه من النوع الآدمى الذى هو أشرف المخلوقات ، ما يستتبع مطالبته بنصيبه الحق فى الثروات التى ينتجها ، وفى الحياة الطيبة التى هو خليق بها ، إن خوفهم من هذه اليقظة وهذا الانتباه ، جعلهم يتباطئون فى العمل على تحسين حاله ، ويقدمون عليه تجويد تربة الأرض وأنواع النبات والحيوان .

فنحن نرى نشاطا قائما فى دور الحكومة وفى الجمعيات لجعل الرى والصرف على أحدث النظم العصرية ، ونرى العلماء فى المعاهد عاملين على تحسين أنواع النبات والحيوان ، مما وصل بنا إلى نتيجة محمودة فى سبيل تحسين هذه العوامل للانتاج فى الريف . كل ذلك وهذا العامل الانسانى أى الفلاح ، لم نبذل فى سبيله من الجهود إلا القليل . فلا علمناه ولا بحثنا مختلف معضلاته ، ولا هذبنا عاداته ، ولا صنا ثروته بل لم نحاول درسه وفهمه . وهكذا لم نحله محل الاعتبار الكافى فى أى ميدان مادى أو أدبى .

وأنى لذاكر هنا للعظة والاعتبار ، ما مهد الطريق للاصلاح الريفى فى أحد البلاد الأوربية :

أهل القرن التاسع عشر على ألمانيا بأربعة من أفذاذ كتابها جمعوا حولها نفرا من الأدباء ، وأخذ

الجبع على عاتقهم دراسة الريف وأهله دراسة استنفدت طول ذلك القرن تقريبا ، وقد ظهرت هذا الدراسة فى شكل روايات وقصص ريفية صوروا فيها للحضريين الألمان ريف بلادهم ، وفتحوا عيونهم على مافى هذا الريف من جمال رائع ، بدا فى الطبيعة الباسمة بأشجارها وأزهارها ، وجداولها وأطيارها وسكونها الشامل ، وجلالها الصافى . ثم عرضوا فى هذه الكتابات إلى شخصيات الريفيين الذين يقطنون هذه الجنان بما فى هذه الشخصيات من بساطة أو من تعقيد ، ومن جد أو من هزل ، ومن بديهة مسعفة أو تفكير بطىء . وبذلك استطاعوا أن يقفوا الحضريين من الألمان على جمال ريفهم وخصائص سكانه ، وهم الغالبية العظمى من الشعب ، بعد أن كانوا يجهلونهم وينأون عنهم ، كما وقفوا الريفيين أنفسهم على دقائق حياتهم وما يكن فيها من جليل المعانى والأسرار ، ولم تقف رسالتهم عند الدراسة وإماطة اللثام عن العيوب والمآخذ ، بل وصلوا بها إلى وصف العلاج الصحيح ، فتناولوا مختلف المشاكل وافتنوا فى ضروب الاصلاح ، عارضين من الصور والأمثال مايشجع على الكفاح فى الحياة وعدم الاستسلام إلى الحوادث ، مع الاعتماد على النفس والتضامن فى العمل .

وقد حمل عبء هذه الرسالة أولئك الأربعة من الكتاب الأفذاذ وهم : اورباخ وجوتهلف وروترو شتفتر الذين خدموا الأدب الألمانى والشعب الألمانى فى وقت واحد .

• • •

ذكرت هذا لأبين أننا إلى الآن لم نخط فى سبيل إصلاح الريف المصرى ، حتى الخطوة الأولى وهى تفهم الحياة الريفية على حقيقتها . ومما يؤسف له أن نظل نجهل نفسية السواد الأعظم من الريفيين طول هذا الأمد ، وإنى لأرجو وقد ضربت هنا هذا المثال الألمانى أن تخرج من بين صفوف أدبائنا فى المستقبل القريب فئة تعمل فى هذا الميدان . وتقفنا على حقيقة نفسيتنا ، فتسهل للمصلحين عملهم المجدى .

أوضحنا أن هناك تقصيرا أو قصورا فى جهادنا لترغيد الحياة فى الريف ، فعلى من تقع التبعة فى ذلك ؟

فى رأيى أن المسئول هو طغيان عامل آخر من عوامل الانتاج وهو المال ، واستئثاره بحصة الأسد من الغلة الناتجة من هذه العوامل مجتمعة . فالمال قد بنى قلاعه وأقام حصونه ووطد دعائمه فى

جميع مرافق البلاد ، دينية كانت أودنيوية أو ديموقراطية أو ديكتاتورية . بحيث أصبح هو السلطة العليا فى كل زمان ومكان . نعم ، أصبح السلطة التى تتحكم فى كل عناصر الحياة ، لا فى مصر وحدها بل فى العالم بأسره ، يستوى فى ذلك الريف والحضر . وبذلك أصبحت الثروة عندنا — وهى محصورة فى أيدى عدد قليل من المصريين والأجانب — هى الحاكم بأمره .

فأنى لنا فى مثل اجتماعنا هـذا ، أن نبحث فى وسائل ترغيد الحياة فى الريف ، أى الخطوة الأخيرة نحو إسعاد الريف وأهله ، والتى تسبقها خطوات كثيرة فى ميدان تحسين الحياة المادية للأهلين ؟ . أنى لنا أن نبحث فى هذا وفوق رءوسنا طغيان المال . وليس فى حسبانه ما نفكر فيه ؟.

• • •

هذه هى المعضلة الكبرى لا فى مصر وحدها بل فى غيرها من الممالك . وهـذا هو سبب اضطراب الامور قوميا ودوليا . فان خضوع الدنيا بما فيها من جماد ونبات وحيوان وإنسان لسلطان المال وأصحابه ، هو مصدر كل البلايا التى ترزح تحتها الانسانية .

وإذا كانت مصر أكثر شعورا بهذا من بقية الامم ، فلان الانسان فى بلادنا لم ينل من العناية — كانسان — الا النزر اليسير ، فى حين أن غيرنا من الشعوب المتحضرة قد عنى به عناية تعتبر فى نظرنا نحن المصريين جليلة ، ولو انها فى نظر أهل تلك البلاد غير كافية فترى الفلاح عندهم يتوفر لديه الكثير من أسباب الحياة المادية والمعنوية ، على حين أن فلاحنا كاد يكون محروما حتى من ماء الشرب النقى ! ومن الاضاءة المنظمة ، ومن السكن النظيف ، ومن وسائل الاستشفاء الى غير ذلك مما تعلم وتعلمون . ناهيكم بالنواحى المعنوية للحياة فهى ليست معدومة فحسب بل ينكرها على الريف وأهله فريق « التابهين » منا ، خشية تنبه الفلاحين الى حقهم فى الثروات كما قدمنا .

من ذلك نرى أن أهم المسائل عندنا الآن ، أن يتحول « التابهون » منا أولا عن هـذه النزعة الرجعية ، ويتقرر فى أذهانهم أن الفلاح انسان مثلهم من أسرة آدم وحواء ، لا يجوز أن ينظر اليه كمجرد عامل من عوامل الانتاج ، بل هو قبل كل شيء عضو من الاسرة الانسانية ، له حقوق أدبية ومادية ، يجب أن ينالها ليعيش عيشة راضية من الوجهتين الحسية والمعنوية ، وفى الوقت نفسه لا خطر من رفعه الى هذا المستوى ، بل بالعكس فان فى ذلك كل الاستقرار . وفيه السبيل الى زيادة

الثروات ، وقبل أن يمتثل « النابهون » هذه الفكرة يكون من العبث أن نضع برنامجا مصريا لترغيد الحياة فى الريف ، بل ولا لما يجب أن يسبق ذلك تحسين الحياة المادية فيه .

موقفنا فى هذا كموقف « روبرت أوين » ذلك المصلح الاجتماعى الذى ظهر فى انجلترا فى أوائل القرن التاسع عشر ، مهيبا بأصحاب الاموال أن يتقوا الله فى العمال ، مقيما الادلة على أن فى ذلك خيرا كثيرا لهم وللعمال معا فما لبثوا أن اقتنعوا بأن لا تنافر بين المصلحتين ، بل هناك كل التوافق بينهما . وفى تضامن الفريقين فى العمل واشتراكهما فى الثروات الناجمة منه ضمان لاستقرار الامور ، ورفع لمستوى الحياة القومية عامه . وقد كان هذا بدء حركة إصلاح اجتماعى شامل ، تناولت وضع التشريع الوافى لمصلحة العمال على اختلاف طوائفهم . كما كانت مطالع عهد ارتفع فيه مستوى العمال وشعروا بالانصاف ، ونظرت الدنيا إلى العمل والعامل نظرة تنطوى على التقدير والاحترام .

ولكن مما يؤسف له أن العناية بالعمال فى المدن حيث بدأ « أوين » دعوته كانت أكثر منها بالنسبة للعمال فى الريف ، نظرا لتشتت شملهم وتوزع قواهم ، وحتى فى الوقت الحاضر ، نرى أن عصبة الامم تهتم بمصالح عمال الصناعة الى حد أنها انشأت لهم ديوانا خاصا من اهم دواوينها فى جنيف لديه مجموعة من المعلومات الدولية والتشريعات الخاصة بالعمال فى جميع أنحاء المعمورة ، عدا الابحاث والاسفار والاحصاءات والتقارير ، وغير ذلك مما يدل على عظيم اهتمامها بهم ، وهى فى الوقت نفسه تهمل عمال الزراعة أى الفلاحين إهمالا كاملا ، وقد وجهنا الى ذلك نظر المستر بتلر Mr Butler مدير مكتب العمل الدولى فى العصبة فى أثناء زيارته الاخيرة لمصر ، وبينا له أنه إذا كان المكتب قد أوفد مديره الى مصر مرتين إحداهما فى سنة ١٩٣٢ والثانية فى سنة ١٩٣٨ . لدرس حالة عمال الحضر فى مصر وتقديم تقرير عنها ، فما أجدر هذا المكتب بدرس حالة الفلاحين فى الريف وهم الكثرة العظمى من العمال التى تعيش فى أسوأ حال من البؤس والشقاء فهم أجدر طوائف العمال بالرحمة ، وأحوجها الى الانقاذ .

ان المقاومة التى كان يلاقيها « روبرت أوين » من أصحاب الاموال فى عصره ، يلاقيها الآن كل مصلح اجتماعى فى مصر ، ولكن عن طريق مستتر فأحيانا يظهر هؤلاء « الرأسماليون » فى ثياب رجال السياسة ، أو رجال الحكومة ، أو الاعيان أو أصحاب الاعمال الحرة . وقد جمعتهم فيما سبق

تحت كلمة « النابهين » . وهؤلاء هم الذين يجب كسبهم أولا للسياسة التى أشرنا اليها آنفا .

* * *

انى لا أومن بالطفرات ، وهذا ما جعلنى أرصد حياتى للعمل فى الحركة التعاونية ، رغم على بطء أساليبها وبعد نتائجها ، وبمقاومة أكثر قوة فى العالم لها ، ألا وهى « الرأسمالية » وبخذلانها فى كثير من الاحيان على أيدى من وجدت لانقاذهم جهلا منهم بها أو طمعا فى فضلها .

ومع ذلك كله فانى أرى أن الاصلاح التدريجى ، ومماشاة التطور الطبيعى ، هما أضمن طرق التقدم وأمتنها ، وإذا لم يؤخذ بهذه الطريقة مع بساطتها وهدوئها ، خصوصا فى بلادنا التى لا تزال تعيش باوضاع قديمة ، وعادات عتيقة ، ومدنيات متوارثة ، فان أكبر الخطر أن تجد المبادىء العنيفة والخطط الفاتكة سبيلا اليها ولا يعلم الا الله ماذا يكون .

نعود الى ما قلناه من أن « النابهين » هم الواجب كسبهم للفكرة .

أولا — فكرة الاعتراف بآدمية الفلاح ، وما يترتب له على هذا الاعتراف من حقوق . ذلك أن بين هؤلاء « النابهين » ، الوزير الذى يملك من السلطة ما يسهل تحقيق مرامى هذه السياسة ، ومنهم المفكر الذى يشغل نفسه بالرأى العام بها ، ومنهم الكاتب الاجتماعى الذى يستطيع أن يدعو لها ، ومنهم البرلمانى الذى يعمل على وضع التشريع لها ، ومنهم الزارع الكبير الذى ينفذها .

هذا هو التسلسل الطبيعى للفكرة ، تهيأ النفوس والاذهان لها ، ثم يبدأ العمل لتنفيذها . ولا يمكن أن يقع هذا كله الا على أيدى قادة الرأى العام أولا وهم من فصلناهم من طوائف « النابهين »

عندما بدأ فلاسفة المدنية الريفية وعلماء الاقتصاد الاجتماعى فى أواخر القرن الماضى يضعون مبادئهم وينشرون تعاليمهم ، ساروا فيها بالوضع الطبيعى فاتخـــــذوا شعارهم الثلاثى الأركان : « تحسين الزراعة وتيسير التعامل وترغيد الحياة » .

ولما كان تحسين الزراعة من واجب الحكومات ، تركوا لها هذا الامر تقوم به وزارات الزراعة نظريا وعمليا ، تعاونها فى ذلك الجمعيات الزراعية فأخذ العلماء يفكرون ، والمعامل تبحث فى مختلف نواحى الزراعة من تربة ونبات وحيوان حتى اذا وصلوا الى النتائج المرجوة ، حملوها الى الزارع وأقنعوه عمليا بصحتها وما تنطوى عليه من مزايا ، فما لبث أن أخذ بها فسادت البلاد ، وبهذا تقدمت

الزراعة وارتقت الفلاحة ، وكثرت الثروات وعمت الخيرات .

ولما وضع علم الاقتصادى الزراعى ، ظهر بفضله أن الزارع لا يمكنه أن يجنى ثمار عمله إذا هو أهمل الناحية الاقتصادية لمهنته ، فلا بد له إذن من معرفة أصول ادارة العزب ونظم الاسواق ، وأساليب التمويل الزراعى و كيفية الاستفادة من الاحصاءات الزراعية الى غير ذلك مما لو أهمله لاشترك فى أرباحه التاجر والمالى بل لحصلا على حصة الاسد منه

لما اتضح كل ذلك ، قامت وزارات الزراعة فى الامم الناهضة بانشاء أقسام فيها للاقتصاد الزراعى ، بجانب أقسامها للزراعة الفنية ، تتناول بحث الاقتصاديات الزراعية بحذافيرها ، ووضعت نتائج ذلك كله تحت نظر الزراع ومساعدتهم على الاخذ بكل مفيد من الناحية الاقتصادية ، كما تفعل فى الناحية الزراعية الفنية ، وبذلك استكمل نقص ظل قائما سنين طوالا فى اعمال وزارات الزراعة ولعل الوقت قد حان لان تقوم وزارتنا المصرية للزراعة ، بانشاء مصلحة فيها للاقتصاد الزراعى فتستكمل عدتها لتعليم الزراع المصريين مهنتهم على أتم وجوهها

أما الشق الثانى — وهو تيسير التعامل — فقد رأى هؤلاء الفلاسفة وأولئك العلماء أن الخطة المثلى لذلك هى اتباع النظم التعاونية وفيها الكفاية لتنظيم الناحية الاقتصادية من حياة الزراع ، من تدبير المال اللازم لهم وتمكينهم من الحصول على حاجياتهم من بزور وأسمدة وعلف ولوازم منزلية جيدة النوع ، مقبولة السعر ، ومن استعمال الالات الزراعية الحديثة ، الى غير ذلك مما يحتاجون اليه لمهنتهم كمنتجين ولبيوتهم كمستهلكين . وكذلك بيع حاصلاتهم فى داخل البلاد وخارجها و اقامة الصناعات الزراعية التى تساعد على تصريف ما ينتجون ، كل هذه الشؤون يتناولها الزراع بواسطة جمعياتهم التعاونية تحت إشراف هيئاتهم العليا للتعاون ، من اتحادات وجمعيات مركزية ، الا أن الجمعيات فى البلاد الحديثة العهد بالنظم العصرية تشرف عليها الحكومات كما هى الحال فى مصر

بقى الشق الثالث من القاعدة الثلاثية الاركان وهو ترغيد الحياة فى الريف : إن سعادة الريف وأهله تتطلب توفر أمور معينة فوق تحسين الزراعة وتيسير التعامل : اننا نطالب بأمور ، اهمها توفر الصحة ونشر التعليم : هذان أمران نعلم انهما يعتبران عادة من اختصاص الحكومات ولكننا فى ذلك رأينا اننا نطالب كذلك بضرورة ابراز الوجهة الاجتماعية للتعاون ، وعدم الاقتناع

بالوقوف عند الخدمات الاقتصادية التى تقوم بها جمعياته ، كما اننا نطالب بقيام المرأة بـدورها فى إسعاد الريف .

هذه أمور أربعة هى من الاهمية بمكان ، ولو نظمت فى مصر ووضع لها برنامج يتحقق فى عدد معين من السنين ، كما فعل موسوليني ومصطفى كمال وهتلر ، لضمنا تقدم ريفنا وإسعاده

وانى لشارح بقدر ما يسمح لى الوقت . كلا من هذه الأمور الأربعة

١ — الصحة

ليسمح لى أهل الطب ، وان لم اكن منهم أن أتحدث فى موضوع خاص بهم ، وإنما ارجو أن تكون صفتى الاقتصادية الاجتماعية شفيعا لى إليهم فى ان انظر الى الموضوع من ناحية معينة .

إن الامراض المختلفة المنتشرة بين فلاحينا قد أضعفت أجسامهم الى درجة قلت من قوة إنتاجهم ورفعت نسبة الوفيات ، خصوصا بين أطفالهم ، كما أن البيئة التى يعيش فيها فلاحنا محاطة بعوامل تعوق العافية ، فمن بيوت غير صحية ، إلى مياه للشرب ملوثة ، إلى برك مسممة ، إلى غير ذلك . مما دعا حكومتنا الى بحث هذه المسائل من سنوات مضت ، ووضع خطط لمعالجتها ، ولكن بطء النتائج شغل البال ، والمال اللازم غير متوفر ، ومن أجل هذا قام غيرنا من الامم الشبيهة بنا بابتكار نظم جديدة يجب أن نعنى بدرسها ، لعل فى الاقتباس منها ما يسهل علينا المهمة ، ويقرب الوقت الذى نرى فيه ريفنا يرتع فى بحبوحة الصحة والعافية .

كانت القرى فى يوجوسلافيا فى حالة سيئة من الناحيـة الصحية ، وكانت مجهودات مصلحة الصحة العمومية هناك غير مسعفة ولا كافية .

ولما كان التنظيم الصحى فى القرى يحتاج الى باهظ النفقات مما لا قبل للحكومة بتحمله ، أصبح لا مندوحة من حصولها على المساعدات المحلية . وخير هذه المساعدات ما جاء منظما ، الامر الذى وجه أولى الأمر الى استخدام النظام التعاونى فى هذا الميدان ، وهكذا تعاونت الحكومة والشعب على إنشاء جمعيات تعاونية للصحة ، يتولاها الاعضاء ، وتخصها الحكومة بامتيازات .

وتتفاوت عضوية الجمعية الواحدة بين ٢٠٠ و ١٠٠٠ وتخدم عددا من القرى متوسطه خمس .

وأبسط ما تقوم به هو أن تعين طبيبا مقيما وممرضة ومولدة ، وتعد صيدلية .

وتقيم الجمعيات الكبيرة دارا للصحة فى شكل بناء يشمل عيادة وصيدلية ، وبجانبها مسكن للطبيب ، وعنبرات صغيرة للرجال والنساء ، وصالة للمحاضرات ، وحمامات.

وتمول هذه الاعمال تبرعات الموسرين ، ومساعدات الحكومة والسلطات المحلية ، وأجور الكشف الطبى وأثمان الادوية مع زهادتها .

وميدان هذه الحركة أوسع من مجرد المداواة فهى لا تعمل يدا بيدا مع مصلحة الصحة للعلاج فقط ، بل وللوقاية والتطعيم الالزامى ضد مختلف الامراض . تقوم هذه الجمعيات كذلك بمقاومة الامراض الوبائية والاجتماعية ، كما أن لديها الاستعداد للعناية بالاطفال . ونشاطها يتناول مدد الحمل والرضاعة وفترة الدراسة وكذلك تقوم بتوفير المياه النقية ، وتصريف الفضلات ، والتخلص من القاذورات وتنظيم التعليم الصحى للبنين والبنات .

والنجاح الذى صادفته هذه الحركة المنتشرة جميعها فى أنحاء يوغوسلافيا ، دليل واضح على أن الخدمات الصحية تنجح تماما ، إذا انشط الأهالى واشتركوا جديا فى العمل مع الحكومة .

٢ — نشر التعلم

إننا — كأمة — لانزال نتخبط فى ميدان التعليم ، إذ لم نهتد حتى الآن إلى سياسة تعليمية مستقرة ذات غاية معينة وإساليب مرسومة ، وإذا كان هذا هو الحال فى التعليم الجامعى والثانوى والابتدائى فما بالك بالتعليم فى الريف ؟ هذا النوع يجب أن يوفق فيه بين التعليم العام ، وبين مطالب حياة الريفيين.

وما عرفت نظاما فى التعليم جمع هذين المطلبين ، أفضل من « كتاتيب القرى » المنتشرة فى الدانمارك Folk School ويجمل برجال التعليم عندنا أن يقفوا على هذا النمط فى تعليم الريفيين علّه يساعدهم على وضع نظام فى ريفنا يحقق أغراض البلاد .

إن فى هذه الطريقة الفريدة فى بابها كثيرا مما ينبغى اقتباسه اذ هى تجمع كما قدمنا بين التعليم العام

وبين مايفيد الفلاحين معرفته ، وما يساعدهم على تكوين شخصياتهم ، وتقويم أخلاقهم ، وتهذيب نفوسهم ، وفيها يتعلمون شيئا عن تاريخ بلادهم وأدبها ، وعن الظواهر الطبيعية مع شيء من شئون الفلاحة والبسائط في الاقتصاديات الزراعية ، الى غير ذلك ، بطريقة لا يعتمد فيها على الكتب والكراسات ، بل على مقدرة المعلم على توصيل معلوماته لتلاميذه بالتحدث والمناقشة بأسلوب من شأنه أن يحبب اليهم تلقى تلك المعلومات ، ولا امتحانات ولا شهادات لهذه الكتاتيب ، اذ الغرض منها مجرد التعليم والتثقيف ، وتغذية الفلاحين بالمعلومات الكافية للقيام بأعمالهم اليومية باقبال ومقدرة مع عدم حرمانهم من الثقافة العامة ، الخاصة ببلادهم . ومن ضروريات التعليم القراءة والكتابة والحساب والدين ، بطريقة عصرية محببة اليهم دون ضغط وبأيسر ما يمكن من التكاليف .

إن التعليم في هذه الكتاتيب لا يراد به مجرد الاستفادة المادية ، بل تكوين شخصية الانسان . لذلك فان التلميذ صغيرا كان أم كبيرا ، يتلقى خلال مدة دراسته عدة أشياء لازمة له في حياته الخاصة والعامة ، لم يكن يعلمها من قبل ، يخرج بعدها الى ميدان الحياة وقد اعد العدة للعمل فيه وكله أمل ، ووجهة نظره الى الحياة سامية ، واستعداده طيب ، معتبرا مصلحته ومصلحة المجموع واحدة .

لم أضرب هذا المثل لاقول بتقليد هذا النظام بجملته لان هذا عسير علينا من حيث الادارة والتمويل ، اللذين يقع عبئهما في الدانيمارك على الشعب وفي مصر على الحكومة ، وانما أردت أن نقتبس من برنامج هذه الكتاتيب ، ومن طرق التدريس فيها .

٣ — ابراز الوجهة الاجتماعية للتعاون

ان اهمال التعاونيين للوجهة الاجتماعية من حركتهم ، وانصرافهم عنها الى الوجهة الاقتصادية واعتبارهم إياها بيت القصيد ، لهو جهل منهم بحقيقة التعاون ، وضعف في نفسيتهم ناشيء عن المغالاة في تقدير المادة ، وهذا ما أسقط أمضى سلاح في أيديهم لاسعادهم وهم غير واعين .

ان الحقيقة في التعاون هي أن اصلاح حالة الشعب الاقتصادية خطوة أولى الى تحسين حياته الاجتماعية وأن الاولى هي البداية والثانية هي النهاية ، وبين هذه وتلك مراحل يترقى فيها الخلق الفردي ، وتظهر قوى الفرد الكامنة . واذا لم يكن لاى نظام اصلاحي للبيئة الاجتماعية ثمرة غير

الثمرة المادية ـ فان أثره فى تحقيق الحياة الطيبة يكون ضعيفا ؛ فيجب والحالة هذه اعتبار الـثروة والسعادة ، أمرين منفصلين ، كل منهما جدير بالاهتمام

والى أن يؤمن التعاونيون المصريون بهذه النظرية ، تظل حركتنا التعاونية جامدة عند تحسين المادة ، دون أن تترك فى النفوس الاثر الذى يهذبها ، والذى يظهر الحق من فضائل الشعب .

ان من المبادىء التعاونية ، أن تخصص كل جمعية نسبة معينة من أرباحها للقيام بأعمـال تعود على الناحية بالرقى الاجتماعى . فاذا كانت قائمة فى قرية انشأت فيهـا مكتبة وصالة للاجتماعات ، وصهاريج للمياه النقية ، وقامت بتنظيف وانارة طرق القرية ، وأوجدت مكتبا لتعليم اطفالهـا ، ومكانا لاسعاف مرضاها وغير ذلك من الاعمال الاجتماعية ، التى يسعد بها الاهلون

إذا لم تقم الجمعيات بذلك كله ، وآثرت أن تخص الناحية الاجتماعية المـذكورة بقليل من الارباح ، ليظفر أعضاؤها بالكثير ، فقد قصرت فى واجبها أيما تقصير .

يبث التعاون فى الناس فضائل خلقية ، أظهرها تأدية الواجبات والمطالبة بالحقوق ، والمساواة فى المعاملة ، وحرية الفكر ، وأدب المناقشة ، واحترام رأى الاغلبية ، وانكار الذات ، ونشر روح الاخاء والمودة بين الجميع .

تدرب الجمعيات التعاونية أعضاءها على الاقتصاد فى النفقات وتكاليف الانتاج ، كما تعودهم الادخار والاعتماد على النفس ، فوق أنها خير مجتمع لتبادل الاراء . والتفاهم على ما ينفع أعضاءها فى أعمالهم وحياتهم الاجتماعية

٤ ـ دور المرأة فى ترغيب الحياة الريفية

ان الدور الذى تلعبه أية مجموعـة من الناس ، لا يكون له أثره المرجو الا اذا انتظمت قوى هذه المجموعة فى سلك هيئات لها دستور يلتزم . وبرنامج يعمل على تنفيذه باخلاص ومقدرة

فلا ينتظر اذن من نسائنا فى الريف — وهن نصف شعبه ، وعليهن العبء الأكبر من ترغيد الحياة فيه — أن يقمن بدورهن على أتم وجوهه ، الا اذا نظمن جهودهن . يقول البعض ، ان عدم التعليم حائل دون التنظيم ، لـكن هذه الفـكرة قضى عليها الآن ، وأصبح واضحا أن التعليم شىء

والتنظيم شيء آخر . ولو أن كليهما يساعد الآخر ويسهل مهمته . فالتعليم يسير في طريقه ، ونسير نحن بالتنظيم في طريقنا . والاثنان يغزوان الجهالة والتأخر ، كل حسب أصوله وطبق أوضاعه .

إن تنظيم هذه الحركة النسوية في الريف ، ولو أن القائمات بالعمل فيه سيكن القرويات أنفسهن فان القيادة ستكون حتما في أيدي سيدات من ذوات الجاه والثروة والتعليم . فهن وحدهن القادرات على إيقاظ الغرائز للنهضة الاجتماعية في الريف ، ولديهن من سعة الوقت ، مايسمح لهن بذلك . فايجاد رابطة بين نساء مصر في الريف بهذا الوضع ، أمر لابد منه ، بصرف النظر عما بينهن من فروق في المراتب وفي السياسة وفي العقيدة .

إن المركز العام لهذه الحركة سيكون حتما في العاصمة ، وله فروع في الاقاليم ، وأمره موكول الى لجنة تنفيذية تعمل على جمع المعلومات المختلفة من الريف ، وعلى تعرف حقيقة الفروع . اما هذه الفروع فهي جمعيات نسوية محلية منتشرة في الارياف ، تعمل بواسطة لجان منتخبة من أعضائها .

ويعين المركز العام « منظمات » بعض معلوماتهن وخبرتهن تحت تصرف الفروع ، فيزرنها من حين الى آخر ، ويجتمعن بأعضائها بشكل فيهن الروح ، ويقدمن من الارشادات ما يشجعهن على عملهن ويوجههن التوجيه الصحيح .

كما أن المركز العام يعين معلمات يزرن الفروع ، ويعشن بين أعضائها مدة قد تصل الى شهر ، يقمن في أثنائها بتعليمهن أصول الصحة والاسعاف والطهي والتطريز ، ويلقين عليهن محاضرات في موضوعات تهمهن ، كالنظافة وتربية الاطفال ، وترتيب البيت ، ويبصرنهن بالصناعات القروية .

واذا استدعى الأمر يعين المركز العام مولدات وممرضات يرسلهن الى الفروع عند الحاجة ليقمن بمهامهن .

وتقوم مالية هذه الحركة على الاشتراكات وتبرعات ذوى الأريحية ، وعلى المساعدة المالية التى تقدمها الحكومة . وتتلخص أعمال هذه الحركة في ثلاثة أقسام رئيسة .

١ — العمل لتقدم الزراعة ، ومايتبعها من صناعات ريفية ، وذلك بتربية الدواجن ، والاعتناء بتغذية الأبقار وحلبها وبتربية العجول وغزل الصوف ، وإنتاج العسل ، وما إلى ذلك .

٢ — العمل لتنظيم المعيشة المنزلية وتجميلها ، وإنما يكون ذلك بتقوية روابط التعارف والمو

بين الأسر وانتفاع ذات البيت الوضيع بشاهدتها في البيوت الرفيعة . خصوصا فيما يتعلق بالنظافة وتربية الاطفال .

٣ — العمل في الحياة الفكرية والاجتماعية . ويمكن تيسير هذه الغاية بتهيئة صالة بالقرية . تستخدم للالقاء محاضرات وتمثيل روايات . وعرض صور سينمائية وإقامة حفلات في الأعياد والمواسم وغيرها .

الحكومة

١ — الاعتراف بالفلاح كمواطن ، وإحلاله المحل الخليق به في الحياة المصرية ، وإعطاؤه حقه في ثروة البلاد ، وعدم حرمانه من الثقافة القومية .

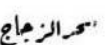
٢ — جعل النظام التعاوني بشطريه الاقتصادي والاجتماعي أساسا لتنظيم التعامل في الريف من بيع وشراء وادخار واقتراض ، ولرفع مستوى الحياة الاجتماعية فيه .

٣ — وضع التعليم والصحة وضعا جديدا يحقق مطالب الريف دون تردد ولا إبطاء .

٤ — إدخال المرأة الريفية في الميدان للعمل على ترغيبهم وتحبيبها مسئولية هذا العمل القومي .

• • •

هذه هي الاركان الاساسية لترغيد الحياة في الريف . لخصتها بكل إيجاز راجيا أن يعمل الجميع على حمل الحكومة — أياكان لونها — على العناية بها ، فلا يلهيها ما أمامها من مشاكل حزبية أو مشاغل دولية ، عن هذا الواجب القومي الذي هو من الاهمية بمكان عظيم ؟



تمتاز الكنائس الكبرى في اوربا وامريكا بالنوافذ من الزجاج الملون . وهنا نافذة زجاجية في كنيسة واشنطون الكاتدرائية وفي وسطها صورة النبي دانيال .

امتحان النظام الديمقراطى

ابحاث المفكرين الديمقراطيين ودفاعهم عنه

اخذ القلق يبدو فى جميع الامم الديمقراطية عن هذا التراث الذى تفخر به من الحرية والمساواة والعدالة وما الى ذلك ازاء النهوض الذى يبدو عند الامم الديكتاتورية وما يتبع هذا النهوض من التحدى . ولذلك قل ان تخلو مجلة او جريدة من البحث عن ميزات النظام الديمقراطى بل لقد اصدرت بعض الجرائد ملاحق لبحث هذا الموضوع كما ان اعدادا خاصة من المجلات قد ارصدت له

والمؤسسات والافكار والعقائد تقوى بالامتحان والتجربة اذا كانت سليمة . كالجسم السليم يزداد قوة بالمرانة . ولكنها — مثل الجسم العليل — تضعف وتموت اذا كانت عليلة . ولذلك من الرجولة ان ينهض الديمقراطيون هذه الايام للاجابة على تحدى الامم الديكتاتورية وان يفحصوا عن النظم الديمقراطية ويبينوا ميزاتها ويبرزوا عيوبها بالمقارنة الى ما يجرى فى الديكتاتوريات

وقد خصت احدى الجرائد اليومية الكبرى فى الولايات المتحدة وهى «ذى كرستيان سينس مونيتور» هذا الموضوع بعدد منها تناول فيه الكتاب المختلفون جميع نواحيه مع تعدد وجهات نظرهم فشرحوا ماهية الديمقراطية ثم اوضحوا ما يجب على الحكومات التى تتصف بها لكى تقوى نظمها . ونحن ننقل فيما يلى بعض هذه الاراء

فقد قال أحد هؤلاء الكتاب ان الديمقراطية تعنى عنده السعى لخدمة جميع افراد الامة . وإن النظم الديمقراطية يجب ان يكون فيها من اللدونة ما يجعلها قادرة على التكيف للخدمة العامة فى حدود الحقوق التى يستمتع بها الافراد فى ظلها . اما هذه الحقوق فهى

١ — الخطابة الحرة والصحافة الحرة

٢ — حق العبادة كما تمليها الضمير الشخصى

٣ — حق الالتجاء الى المحاكم لتقويم الخطأ

٤ — العيش بالمساواة في فرص الكسب

ويبدو من الكاتب انه يريد ان يقول إن هذه الحقوق ليست مما يتمتع به اولئك الذين يعيشون في ظل حكومة ديكتاتورية . ونظن ان كل منصف يضطر الى التسليم بهذا النظر

• • •

وكتب آخر يقول ان الاساس الذى يبنى عليه النظام الديمقراطى يرجع الى حق الجيل الجديد في الاستمتاع بجميع ما كسبه الجيل السابق . وان الحقوق الديمقراطية (وهى الاربعة المذكورة هنا) يجب ان يرافق كل منها الشعور بالمسئولية فلا يجوز الغلو في ممارستها . فاذا كان من مبادىء الديمقراطية التسامح والرضى بالتسليم بهذه الحقوق فان من مبادئها الاخرى التحفظ والاعتدال . وهاتان الصفتان ضروريتان في مجابهة التحدى الذى تلقاه الحكومات الديمقراطية من الدول الديكتاتورية

ثم يقول الكاتب ان قدرة الناس على الانتاج قد زادت على ما كانت عليه مائة ضعف . وان طرق التوزيع القديمة لم تعد كافية تلائم هذا الانتاج وقد اتهمت النظم الديمقراطية بعجزها عن حل هذه المشكلة وصار خصومها يقولون بالالتجاء الى الديكتاتورية للوصول الى هذا الحل ولكن الكاتب يقول ان هذا الانتاج العظيم قد اخترعت وسائله عقول عاشت في ظل النظام الديمقراطى وهى كما اخترعت هذه الوسائل للانتاج تستطيع هى ان تخترع وسائل التوزيع دون ان تتخطى المبادىء الديمقراطية أى الحقوق التى ذكرنا

وكتب ثالث يقول ان الديمقراطية ليست نظاما للحكومة فقط بل هى طريقة العيش والحياة . فيجب ان تكون في بيوتنا ومدارسنا

فاذا عاملنا الاطفال في البيت ، او الصبيان في المدرسة فانا يجب الا ننسى ان نغرس المبادىء الديمقراطية في نفوسهم حتى يشبوا وهم ديمقراطيون بالمزاج وليسوا ديمقراطيين بالنظام فقط . وهذا المزاج يكون لهم الاخلاق التى تكفل لهم السلامة من الانقلابات السياسية في المستقبل

فلا بد إذن من ان يكون الاب في وسط عائلته حاكما ديمقراطيا لا يجور ولا يستبد . ويجب ان يعلم ابناءه التعاون والحكم الذاتى والقدرة على حسن الاطلاق بأنفسهم ويجب ان يقدم ما عندهم من

استقلال فى الرأى والتفكير وبشجعهم عليه

وكتب آخر يقول ان الديمقراطية هى كما قال ابراهام لنكولن « حكومة الشعب لأجل الشعب ومن الشعب » وعلى هذا التعريف يجب على كل امريكى لكى يتمتع بنعمة الديمقراطية ان يهيء نفسه بالواجبات والمسئوليات التى يطلبها هذا التعريف . فيجب ان تستعمل اصواتنا فى الانتخابات بذكاء وفهم . وان نخضع مصالحنا الشخصية للمصلحة العامة . . وان ندرس مسائل الامة الداخلية ومسائل العالم عن طريق الجرائد والمجلات والكتب الحسنة حتى لا نتورط فى الخطأ عند ما نطالب بممارسة حقنا فى التصويت ويجب ان نشجع ونؤيد انشاء المدارس والمكتبات المجانية وان نتسامح مع جميع الناس ، مهما اختلفوا فى الدين او الدم

* * *

والمستر لويد جورج هو الآن شيخ هرم فى الخامسة والسبعين وقد هجر كفاح السياسة ولكنه لم يهجر درسها ، وهو الآن يمارس الزراعة فى عزبة قريبة من لندن يربى الخنازير ويزرع الشليك ويغرس اشجار التفاح . وقد أحال الأرض القاحلة الى ارض خصيبة بالعناية بردمها وصرفها وتسميدها

ويعرف القراء لويد جورج بأنه كان زعيم الاحرار او الحربين وهو ديمقراطى يؤمن بأن صوت الشعب يجب أن يعلو . وهو صاحب الفضل فى قانون معاشات الشيخوخة كما هو صاحب الفضل فى ادارة الحكومة مدة الحرب الكبرى

وقد زاره رئيس تحرير مجلة نيوستيتسمان وحادثه عن الديمقراطية والديكتاتورية وأيتهما اكثر كفاءة وأقدر على إسعاد الامة . فكان ما قاله لويد جورج ان الامم الديكتاتورية تمتاز برجلين فذين هما موسولينى وهتلر . وليس شك فى ان لكل منهما عبقرية القيادة . ومن سوء الحظ انه ليس للامم الديمقراطية مثل هذين القائدين . ومن هنا توهم التفوق عند الامم الديكتاتورية . ولكن يجب ألا ننسى ان موسولينى وهتلر بل لنين وستالين ايضا انما ارتفعوا الى مراكزهم الديكتاتورية فى اوساط ديمقراطية أذنت لهم باجتماعاتهم ومظاهراتهم الاستفزازية . ومع ذلك فان النظامين — الديمقراطى والديكتاتورى — لم يتح لهما ان يوضعا تحت الامتحان . وما أصابه كل من المانيا

وإيطاليا من النجاح انما يعود الى ضعف القادة عند الدولتين الديمقراطيتين . ولكن يجب ألا ننسى ان الامتحان القاسى مدة الحرب الكبرى قد أثبت قوة الأمم الديمقراطية ازاء الديكتاتوريات الحربية حتى سحقت هذه الديكتاتوريات

قال المحرر : هل تذكر ان اختبارك مدة الحرب الكبرى قد اقنعك بأن الاتوقراطية تمتاز على الديمقراطية فى الحروب

فقال لويد جورج : ليس هناك تجربة هى أقسى من تجربة الحروب فى إظهار الكفاءات . وأعظم حرب فى العالم قد كسبتها الامم الديمقراطية . وهذا على الرغم من ان المانيا والنمسا قد دخلت كل منهما الحرب ولها ميزات فى الاستعداد بالذخائر والمواصلات الداخلية . ولكن النصر كان فى النهاية للامم الحرة لان لها مؤسسات حرة حيث يتصل مركز السلطة بسواد الشعب . فكان القادة لهذا الشعب أعضاء فى البرلمان وفى المجالس المحلية حتى اذا قاربت الحرب نهايتها كان فى كل قرية او مدينة رجال مدربون قد أعدوا للحرب . وكانت الامم الديمقراطية قد اعتادت وارتضت التجند والاستعداد

فقال المحرر : ماهو عندك الامتحان الحق لمعرفة الكفاءة فى الأمم ؟

فقال لويد جورج : هو قبل كل شيء الرخاء بين افراد الشعب والقناعة .. وليس شك فى ان سواد الأمة فى كل من فرنسا وبريطانيا يستمتع برخاء اعلى ما يصل اليه الشعب فى إيطاليا . ومثل هذا يقال — بدرجة اقل — عن الشعب الالمانى . وقد نلحظ على السطح ان السخط والقلق يعمان فرنسا وانه ليس لهما نظير فى ايطاليا . ولكن السبب لهذه الظاهرة السطحية هو ضغط الحرية فى ايطاليا

فقال المحرر: هل احتجت مدة الحرب الكبرى إلى تنقيح النظام الديمقراطى لكى تزيد كفاءة الحكومة فى متابعة الحرب ؟

فقال لويد جورج : لم أحتج إلى شيء من ذلك . وكذلك سلفى المستر اسكويث . فان مؤسساتنا الحرة سارت فى عملها بلا عائق وبلا خطأ . ولم نغير شيئا فى نظام البرلمان . وقد وافقت على عقد جلستين سريتين فقط للبرلمان مدة الحرب لكى لا تذاع الاسرار . واعتمدت على ثقتى بالاعضاء

لم يقش سر . وكان البرلمان يختصر المناقشات للسرعة . وقد نقصت عدد الوزراء . ولكن هذا النقص لايعد مخالفة دستورية إذ له سوابق

فقال المحرر : هل حدث مدة الحرب أن المعارضة للحكومة كانت تعطل الأداة الحكومية ؟

فقال لويدجورج : تولى الحكومة البريطانية مدة الحرب الكبرى ثلاث وزارات واحدة حرة. واثنتان قوميتان ولكنى لا أذكر أن البرلمان رفض ان يمنحنى أو يمنح سلفى المستر اسكويث السلطة التى كنا نحتاج اليها لزيادة الكفاءة فى الهيئة التنفيذية . فان الهيئة التى اختارها الشعب الديموقراطى سواء فى بريطانيا أم فرنسا كانت تستجيب لكل ماتطلبه الوزارة. فلا أنا ولا المستر اسكويث ولا المسيو كلمنصو « فى فرنسا » شكونا من تعطيل البرلمان لنا . وإذا كان قد حدث تعطيل أو عرقلة أو عجز فى الادارة الحربية فلا يعزى هذا إلى البرلمان وانما يعزى إلى خطأ القيادة السياسية أو الحربية أو البحرية

قال المحرر : يقول بعضهم أن ما يطلب من الادارة الحكومية الآن اكثر جداً ما يمكن أن يتحمله نظام برلمانى . فهل لديك مثال أو أمثلة على كذب هذه الدعوى؟

فقال لويد جورج : فى مدة الحرب قمنا بأعمال ومجهودات ليس لها نظير فى المطالب الحاضرة . ومع ذلك لم نجد أية صعوبة من النظام البرلمانى . فقد انشأنا وزارة راقبت الصناعات والمواد الخامة سميناها وزارة الذخائر وانشأنا وزارة أخرى استولت على جميع السفن والبواخر سميناها وزارة الملاحة .ووزارة ثالثة استولت على الطعام سميناها وزارة الطعام وقد أدت كل منهن عملها بلاخطأ أو عائق من البرلمان . لانها كلها سارت على أساس المساواة والحق والعدل . وقد كنت انا رئيس وزارة ومع ذلك كانت تمر بنا أيام فى البيت لانجد فيه الطعام الكافى اذا وفد علينا ضيف . وكنا لانجد كفايتنا من الزبدة أو اللحم أو البطاطس . وهذه المساواة هى التى جعلت الامة كلها ترتضى الضيق.

فقال المحرر: هل تعتقد أن البطء فى اتمام الاستعدادات الحربية يعود الى أن النظام الديموقراطى بطىء بطبيعته

فقال لويد جورج . نعم الديموقراطية بطيئة من بعض الوجوه. لانها تكره الالتجاء الى العنف تحقيق أغراضها . ولكن لهذا أيضا ميزته عند الامم الديموقراطية التى تكره الحرب ولا تضعها لى القمة فى المجد وقد كانت المانيا وايطاليا لاتهددان العالم بالحرب حين كانت كل منهما ترتكز فى نظام على المؤسسات الديموقراطية

تقدم العلوم والفنون

تأخر الصحة العامة

يمكن مصر أن تفخر بشيئين لولا الاستقلال لما تحقق أحدهما نعنى التعليم والصحة . فان الادارة الوطنية امتازت على الادارة الانجليزية السابقة بالعناية بالتعليم والصحة والانفاق عليهما بسخاء لم يكن معهودا فى السنين الماضية . وهذا السخاء ما زلنا نثابر عليه لأن الامة والحكومة معا تشعران بان ثقافة الذهن وصحة الجسم هما أهم ما ينبغى أن ينفق عليه من ميزانية الدولة . وهما خط الدفاع الاول فى كل أزمة سواء أكانت داخلية أم خارجية

وحسبنا ان نذكر برهانا على هذه العناية ان ما كنا ننفقه سنة ١٩٣٣ أى منذ خمس سنوات على وزارة المعارف لم يكن يزيد على ٣،٠٢٩،٦٩٨ جنيه فأصبح فى سنة ١٩٣٧ يبلغ ٣،٨٨٢،٣٣٦ وكان ما ننفقه على وزارة الصحة فى تلك السنة ١،٣٢٨،٥٣٢ فأصبح فى سنة ١٩٣٧ يبلغ ١،٩٣٢،٥٧١ والمشروعات القائمة سواء فى التعليم أم فى الصحة ستجعل هذه المبالغ تزداد عاما بعد آخر . بل ربما تكون الزيادة أكبر فى الصحة مما سوف تكون فى التعليم لان وجدان الامة نحو الصحة العامة يزداد تنبها وقوة بالظروف الجديدة التى تجعلنا نعىء قوانا لايجاد جيش قوى تؤيده من خلفه طبقات الامة جميعها . والصحة هى الشرط الاول للكفاءة العسكرية

وقد أثبت الفحص الطبى للجيش ، وكذلك امتحان الالتحاق بالكلية الحربية ، ان الصحة العامة على اسوأ حال . وانه لا يكاد ينجو من الامراض سوى خمسة فى المائة من السكان . ولم نكن فى حاجة الى مثل هذه الشهادة من الجيش أو الكلية الحربية لان جميع الذين يعرفون الريف وخاصة فى الوجه البحرى يوقنون بسوء الحال العامة للصحة . وحال المدن لا تفضل الريف الا قليلا ، وهى مع ذلك غاية فى السوء كما أشار إلى ذلك التقرير الجديد عن صحة الاسكندريين . فقد جاء فى هذا التقرير أنه ولد فى الاسكندرية فى العام الاسبق ٥٩٦ مولودا ميت لم يكن بينهم سوى

خمسة من أبناء الاجانب . وأن من كل الف من السكان المصريين يموت ٢٣٩ طفل مصرى . ولا يموت من أطفال الاجانب سوى ٥٤ فى الالف . ثم ان الوفيات عامة بين المصريين فى الاسكندرية تبلغ ٢٩٫٥ فى المائة وهى بين الاجانب ٧٫٢ فى المائة

والاسكندرية هى صورة مصغرة للقطر كله . بل ربما كانت صورة حسنة مع هـذا السوء لان الحال فى سائر المدن والقرى المصرية أشنع منها . ولذلك نعتقد أن واجبات وزارة الصحة كثيرة وخطيرة . وكل ما نرجو ان تتجه خطتها أو خططها نحو الوقاية قبل العلاج . ولسنا نتعامى عن الحقيقة المؤلمة وهى أن العلاج أخف من الوقاية وأقل نفقات وأسرع فى النتيجة . وان وزارة الصحة مضطرة لهذا السبب إلى بذل المجهود نحو العلاج . ولـكن الجمهور المصرى يمكنه أن يصبر للنتائج الثابتة بالوقاية ولا يلح فى طلب النتيجة العاجلة الزائلة إذا هو أرشد الى الحقائق واوضحت القيم الصحية له . فان الحقنة التى تعطى لمعالجة البلهارسيا مثلا سريعة الاثر وأقل تكاليف من تجفيف خمسة آلاف فدان تحيط بالقرية وتمج بالديدان . ولـكن الاثر الباقى للتجفيف وليس للحقنة

وهذا هو الشأن فى جميع الامراض الاخرى

وعلى هذا نظن ان من واجب وزارة الصحة ان تبحث طعام الجمهور وعلاقته بالامراض وكذلك المساكن فى الاحياء الفقيرة والنظافة العامة . وقد سارت الوزارة فى ذلك شوطا ولكنه ليس بعيداً ، ولا تزال أمامها أشواط تستحق السعى . فقد يحق للوزارة هـذه الايام أن تتساءل هل من مصلحة الصحة العامة أن يكون ثمن القمح فى لندن نصف ثمنه فى القاهرة . وهذا على الرغم من أن الخبز هو طعام العاصمة الاساسى وهو ليس كذلك فى لندن . وعلى الرغم من الفاقة والضيق هنا واليسر والثراء هناك . وما يقال عن القمح يقال عن السكر أو الذرة أو غيرهما . بل يمكن ان تتساءل : ما قيمة المصلحة الكبيرة تقام لمعالجة السل اذا كانت الاحياء الوطنية تمج بالمساكن الرطبة المظلمة ؟ وما قيمة الخيام تنصب خارج القرى لمعالجة أو حجز المصابين بالتيفوس اذا كان أهل القرية عاجزين عن شراء الصابون لازالة القمل العالق بملابسهم واجسامهم ؟

هذا وذاك هما من واجبات وزارة الصحة وهما يعدان من خطط الوقاية وليسا من خطط العلاج وهذا ما نرجو من وزارة الصحة أن تلتفت اليه



أوربا

ليس فى العالم قارة انشقت على نفسها واحتدمت فيها العداوات مثل القـارة الأوربية . ومع ذلك نظهر فى هذه القاره دعايات عجيبة . منها دعاية يقوم بها الكونت كاليرجى وهو من نبلاء النمسا كان أبوه نمسويا وامه يابانية . وهذا الاب النمسوى نفسه كان فى الاصل هولنديا . فالكونت كاليرجى يجمع فى عروقه دماء هولندية ونمسوية ويابانية ودعايتـــه هى انشاء « الولايات المتحدة الاوربية » على نسق الولايات المتحدة الامريكية . وقد يقال ان هـــذا الوقت هو أسوأ الاوقات لاختيار هذه الدعاية ولكن لماذا لا تقول أنه أحسن الاوقات لهذا السبب نفسه اى أنه الأوربيين عند ما يرون الاحقاد تزداد وخطر الحروب يعمهم جميعا يضطرون الى التفكير فى انشاء « الولايات المتحدة الاوربية

وقد كان المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية قبل ثمانى سنوات يؤمن بهذه الدعاية ويسعى لها . والكونت كاليرجى لا يزال يطرق الابواب ويعلو المنابر فى الدعوة الى الاتحاد . وليس النجاح بعيدا

مقابلة

المقابلة بين المال والدين وايها خير للناس تعد عندنا ضربا من الزندقة ولكنها ليست كذلك عند الامريكيين

فى الولايات المتحدة مجلة ضخمة يباع العدد الواحد منها بريال كامل تسمى فورتشن . وقد استفتت القراء عن هذا الموضوع وهو هل الولايات المتحدة فى حاجة الى لاصلاح الدينى أو الى الاصلاح الاقتصادى . فكانت الاجابة ان ٤٣ فى المائة يقولون بالاصلاح الاقتصادى . و٣٦ فى المائة يقولون بالاصلاح الدينى و٣ فى المائة يقولون بالاصلاحين . وأما الباقون فلم يقدموا اجابة واضحة أو لم يجيبوا

اخبار اجتماعية

المسلمون فى يوغسلافيا

ننقل ما يلى عن جريدة البلاغ

أشرنا من قبل إلى وصول بعض المسلمين اليوغوسلافيين إلى مصر فى طريقهم إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج ونشرنا ايضا نبأ مقابلتهم لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر وكلة فضيلته فيهم وتنشر اليوم أن مندوب البلاغ فى الازهر قصد إلى دار فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد طاهر شيخ رواق الاتراك حيث اجتمع فيه بعض الحجاج اليوغوسلافيين والطلبة الرومانيين والألبانيين وغيرهم من الجاليات الاسلامية ودارت الأحاديث حول الشؤون الاسلامية المختلفة ووجوب توثيق الروابط الحبية بين المسلمين وتحدث مندوبنا الى الاستاذ الحاج آدم فضلى وهو من كبار ضباط الجيش أنمساوى ثم عاد الى وطنه فى بوسنة فاشتغل بالتحرير فى جريدة « روح الاسلام » وله إلمام باللغات العربية والتركية والالمانية وبعض اللغات البلقانية وهو على جانب عظيم من الذكاء والاطلاع له فكاهة مستملحة طلية ويبلغ السبعين من عمره فسأله مندوبنا

— هل زرتم مصر قبل اليوم

زرتها أربع مرات فى طريق الى الحج ثم زرتها فى أعياد زفاف صاحب الجلالة مولانا الملك حرسه الله . ثم قال :

قبل أن أتابع الحديث معك اسمح لى أن أشكو باسم الحجاج المسلمين لا فى بوسنة وحدها وانما فى رومانيا وبلغاريا وغيرها من البلاد الاسلامية من شدة المعاملة التى يجدونها من القنصليات المصرية فى الخارج والعقبات التى تحول بينهم وبين زيارة مصر والتمكن من الحصول على تذاكر البواخر المصرية التى تسافر الى الحجاز

وذلك أن القناصل المصريين يحتمون على الحجاج أن يقدموا تذاكر السفر الى جدة مباشرة

وأن يدفعوا مبلغ ١٥ جنيها بصفة تأمين فيضطر الحاج إلى ان يأخذ تذكرة من شركة بواخر أجنبية ويحرم من الانتفاع بمزايا البواخر المصرية

وكـذلك الحال فى العودة فانهم يلقون من قنصلية مصر من جدة مثل هذه المعاملة

وفضلا عما فى هذا من الضرر للحجاج ليس من مصلحة مصر من الناحية الاقتصادية فى شىء فأرجو أن تلفت نظر ولاة الامر فى مصر الى ذلك

المسلمون فى يوغوسلافيا

وسأله مندوبنا عن عدد المسلمين فى يوغوسلافيا فأجاب

— انهم زهاء مليونى نفس

— هل توجد مدارس اسلامية كثيرة ؟

— يوجد نحو اربعين مدرسة وبينها مدرسة للفتيات وهى مؤسسة على النظام المصرى والدين الاسلامى يدرس فى جميع المدارس وهو فى مقدمة العلوم التى تعلم فيها

— كيف حالة الزراعة والتجارة عندكم ؟

— حالة الزراعة عندنا حسنة وبلادنا تنتج القمح والذرة والشعير وجميع أنواع الفاكهة وغيرها ويكفى أن أقول لك أن لدينا ثمانين نوعا من التفاح وحده أما حالة التجارة فحسنة كـذلك

— هل عندكم مساجد كثيرة؟

— يوجد فى سراجيفو وحدها زهاء ٩٩ مسجدا وتقام فيها العبادات وفى كل مسجد امام ولكل مسجد وقف ينفق عليه من ريعه

— وهل لكم اشتراك فى الحكم

— فى كل ناحية يشترك المسلمون فى جميع جهات الحـكم ووزير المواصلات فى الحكومة اليوغوسلافية الان هو السيد الدكتور محمد اسباهو مسلم وهناك جعفر بك كولى وهو وزير بلا وزارة وبين المسلمين الاطباء والعلماء

ويشرف على الشؤون الدينية فضيلة فهيم افندى اسباهو وهو شقيق وزير المواصلات

وتؤلف ولاية بوسنة من ستة الوية وهي تتفرع الى مراكز وقرى وفي كل قرية مكتب للتعليم وتحفيظ القرآن باللغة العربية وقد ترجمنا جميع الاحكام الدينية الى لغتنا حتى يسهل تفهمها
والى هذا انتهى الحديث فشكر مندوبنا محدثه وتمنى للحجاج اليوغوسلافيين حجا مبرورا

القتل

قبل بضعة أشهر قتل زوج انجليزى زوجته ثم انتحر . وترك في وصيته كلمة شرح فيها الاسباب التي دعته الى هذا القتل المزدوج وأهمها ان الزوجة كانت قد فقدت عقلها . ثم استشهد بعبارة قالها قسيس معروف هو الكانون بيترجرين يؤيد فيها الرأى القائل بجواز قتل المريض المتألم الذى قطع الرجاء من شفائه . وهذا القتل يسمى « يوثانيزيا » أى الموت المريح . وقد دعا اليه فريق من الاطباء في انجلترا وامريكا . وحجتهم ان هناك أمراضا تستعصى على العلاج وهي مع ذلك مؤلمة تشقى حياة المريض . وعندهم أنه في هذه الحال يجب أن يستشار أهل المريض ثم يقتل . ولكن الرأى العام لا يطيق هذه البدعة في القتل ولعله على صواب

يهودى

في الوقت الذى يعانى فيه اليهود ألوانا من الاضطهاد في النمسا والمانيا وبولندا ورومانيا فانهم يجدون جميع الفرص للتفوق الاقتصادى والاجتماعى مفتوحة أمامهم في أوربا الغربية وأمريكا
فقد اختير الاستاذ فليكس فرانكفورتر قاضيا في المحكمة العليا في واشنطون . وهذه المحكمة هي الهيئة العليا التي تفصل في أى خلاف يقع بين ولاية وولاية أو بين البرلمان الامريكى والرئيس او بين الحكومة المركزية واحدى الولايات . وهي التي تفسر الدستور وتنفذ كلمتها على الجميع من الرئيس فنازلا . وهذا القاضى يهودى ولد في النمسا من ابوين نمسويين ولكن الحظ ساعده بهجرة ابويه الى الولايات المتحدة حيث احترف بيع الصحف في الشوارع ثم تعلم والتحق باحدى الجامعات ونبغ حتى عين استاذاً في جامعة هارفارد . وهو الآن في الخامسة والخمسين وقد يبقى عشرين سنة وهو في مركز القضاء في هذه المحكمة

اخبار اقتصادية

تجارتنا مع السودان

أصدر صاحب السعادة الحاكم العام للسودان تقرير عن التجارة والادارة والاحوال العامة للقطر الشقيق عن السنة الماضية . وسوف نتناول هذا التقرير ببحث الارقام الواردة فيه عن مختلف الشؤون ونقتصر الآن على بحث التجارة المصرية فى السودان . ذولك لان الاهتمام فى مصر يزداد بعلاقتنا التجارية بيننا و بين السودان ونحن لا نرغب فقط فى زيادة صادارتنا اليه بل نرغب فى زيادة وارداته الينا . وقد عنيت حكومتنا بإيجاد ممثل لمصر فى الخرطوم لزيادة الروابط الاقتصادية كما ان الغرف التجارية عندنا تعاونت وانشأت فى الخرطوم أيضا معرضا للمصنوعات المصرية . فازاء هذا الجهد يجب ان نتوقع الثمرات التى تعود علينا وعلى السودانيين بالخير

ومقدار الواردات الى السودان كما جاء فى التقرير الذى اشرنا اليه فى عام ١٩٣٧ كما يأتى :

بريطانيا	١٥٢١٣٧٥	ج
مصر	١٢١٤٣٨٠	«
اليابان	١١٨٤٥٥٨	«
الهند	٤٣٦٠١٣٩	«
الولايات المتحدة	١٧٦٠٠٦	«
الهند الهولندية	٢٧٤٦٣٢	«
الحبشة	١٤٥٠٤٢	«
بلجيكا	١١٤٦٩١	«
ألمانيا	١٠٨٣٠٢	«

اتحاد افريقيا الجنوبية	٨٣٨٨٦	«
استراليا	١٤٥٠٧٢	«
فرنسا	٨٤٨٥٤	«
كنيا	٧٠٦٧٥	«
أقطار أخرى	٦٧٣١٦٤	«
المجموع	٦٢٨٣٠٧٦	«

وكثير مما يرد الى السودان من هذه الاقطار لا تنتجه مصر . ولكن كثيرا أيضا منه تنتجه مصانعنا وأرضنا فنحن مثلا لا نستطيع أن نبارى الأقطار التى تورد للسودان البن والشاى ومعظم المصنوعات المعدنية والاتومبيلات والاخشاب والفحم . ولكننا يمكننا أن نكفى السودان حاجته من الاقمشة والدقيق والاسمنت وآنية المطبخ والاحذية والحلويات والصابون . وكل ما نحتاج اليه أن نتفق مع الحكومة السودانية على أن نستورد حاصلات السودان لقاء استيراده لمنتجاتنا مع صيانة التجارة الانجليزية . وليس للانجليز أية مصلحة فى أن يسبقنا قطر آخر فى مقدار صادراته إلى السودان. وللتجارة الانجليزية قدم راسخة فى السودان وليس لها أن تخشى مزاحمتنا . وليس فى مصر من يرغب فى ذلك . ولكن بل التجارة الانجليزية فى التفوق تجارة اليابان التى كانت متفوقة علينا سنة ١٩٣٦ والتى لم تنزل سنة ١٩٣٧ إلا نزولا قليلا . إذ كانت الحصة المئوية للصادرات المصرية ٣ر١٩ وكانت حصة اليابان ٩ر١٨

وأعظم ما تتغلب به اليابان هو منسوجاتها التى يمكن مصر وبريطانيا أن تقدم للسودانيين نظائرها ولكن مع زيادة قليلة فى الثمن . وليست هذه الزيادة مما يعد خسارة على المستهلك فى السودان . لان البضائع الانجليزية والمصرية تمتاز بجودتها فى الصنع ومتانتها فى المادة . وقد جربنا نحن هذا فى مصر قبل أن نفرض المكوس العالية على المنسوجات اليابانية فان الاقمشة التى كانت تصنعها مصانع المحلة كانت أغلى ثمنا ولكنها امتن مادة وأطول عمرا وأكثر تحملا وفى المعرض الزراعى الاسبق استطاع بنك مصر أن يثبت هذا بآلة صغيرة تبين متانة الاقمشة

واليابانيون يبيعون الان ثوب الدمور الذى يبلغ طوله ٣٠ ياردة وعرضه ١٦ بوصة ووزنه عشرة

أرطال بمبلغ ٢٨ قرشا تسليم بور سودان . ولا يمكن مصر او بريطانيا أن تبارى اليابانيين فى هذا المضمار . لان المصانع اليابانية تشترى القطن الخام من أدون الانواع وتصنعه أقمشة سخيفة وتبيعه بالأثمان المنخفضة . وجمهور السودانيين لا يعرف متانة قطننا الذى يعد مع ارتفاع ثمنه رخيصا اذا اعتبرنا متانته

هذا هو ما يطلب من بنك مصر ومن الغرف التجارية المصرية ومن الممثل للتجارة المصرية فى الخرطوم أن يهتموا له . بل يحسن بنك مصر كل الاحسان اذا هو أرسل هذه الآلة التى أشرنا اليها لكى تمتحن بها الاقمشة المختلفة فى الخرطوم حتى يعرف الجمهور السودانى حقيقة ما يشترى وحتى لا تخدعه الأثمان المنخفضة

الحجاج

وقف الحجاج يوم الوقفة على جبل عرفات متمتعين مبتهلين . ومنهم من سوف يزور المدينة المنورة . وهم فى تنقلهم من جدة الى مكة الى المدينة بل فى انتقالهم من السويس الى جدة يذكرون بنك مصر ومؤسساته . فان هذا البنك يقوم لديهم مقام شركة كوك الانجليزية للسائحين فى أنحاء العالم . فانه يتكفل لهم لقاء ما يؤدونه لجهات الاختصاص فى المديريات أو المحافظات بجميع ما يخدم راحتهم وأمنهم . فالحاج لا يحتاج الى أن يساوم واحدا ولن يحتاج الى مماسكة السواقين للجمال أو للاتوموبيلات بل هو لن يحار فى البحث عن فندق فى مكة يأكل فيه ويقيم فيه ما شاء . لان بنك مصر قد كفل له كل ذلك . فما هو أن ينزل الحاج الى جده حتى يجد وكلاء بنك مصر يستقبلونه ويرشدونه الى حيث يشاء دون أن يكابد أى عناء

وليس شك فى أن المصريين سيزدادون معرفة بأرض الحجاز المقدسة بهمة طلعت حرب باشا . ونرجو أن تثمر هذه المعرفة زيادة فى الرابطة بيننا وبين الحجازيين واستثمار الممكنات الاقتصادية فى هذه البلاد كما نرجو أن تستمر وسائل المواصلات الراقية التى أوجدها بنك مصر عاملة نشيطة بين القطرين فى غير أوقات الحج أى طول العام كله

حديث الادب والادباء

ابو العلاء المعرى

عن المقتطف

حديثك عن بحر اذا هاج أرعبا … فنك عند الخوض ان تتهيبا

ولكنه البحر الذى لا تبرءه … عواصف تذرى الراسيات لتلعبا

وخلجانه در تضده الضحى … وشطآنه تبر تبعثره الصبا

ويقصده الصادى فيلقيه كالندى … واطهر من دمع الصباح وأعذبا

سلام على شيخ المعرة أنه … أفاض على الاجيال سحراً مركبا

سلافة شعر فى أباريق حكمة … يطوف بها عان اذا اقترا قطبا

رمته يد الاقدار باليتم والعمى … فكان له العقل الهادى والهدى الأبا

وغادره الجدرى صبيا مشوها … حكى جلده اللدن الطريق المحصبا

فما فيه ما يرضى العيون وانما … به كل ما يرضى الشعور المهذبا

ترى وجهه كالقفر حر ان مجدبا … وما خلفه كاروض ريان مخصبا

فيالك قفرا لا ترى غير شوكه … ويالك شوكا يبعث العرف طيبا

ويالك دنيا بين حين وآخر … تمتع محروماً بما عز مطلبا

تعمدت الاقدار إرهاق احمد … فأسمها آباً من الهزء معربا

وحاكت له ثوبا قشيباً من الاذى … فحاك لها ثوباً من السخط أقشبا

وادبت الدنيا بنيها فراها … فتى هاله ان لا يكون المؤدبا

وماعرفت نفساً اعز ولا نهى … أصح ولا عوداً أشد وأصلبا

رأت فى صباها شيبة فتعجبت ... وشب لدن شابت فزادت تعجبا
خلود لو أن الشمس تحظى بمثله ... لما جاء فى التنجيم عن موتها نبا
فقد يطفىء الموت الكواكب تاركا ... على رغمه فوق السماكين كوكبا
ويمحو جميع القول الا حقيقة ... تجوب فجاج الارض شرقاً ومغربا
ليعرب هذا المجد ياولد يعرب ... فأى كريم لا يمجد يعربا
وللشام هذا الارث ياآل جلق ... ألا فلتيه لبنان ولتشمخ الربى !
ولو شامت الدنيا الى الحق عودة ... لسارت الى ارض المعرة موكبا
وحج ضريح الشيخ طلاب علمه ... كما حج طلاب التبرك يثربا
الا ايها الاعمى البصير الذى رأى ... بفطنته قلب الورى المتقلبا
وأبصر بالعقل الخفيات كاشفا ... وراء التقى والبر مكراً ومأربا
ولم ير فى الاديان إلا حبائلا ... يصيد بها الداعى اليها التكسبا
حنانيك إن الالف مرت ولم تزل ... البلايا من الانسان صلا وعقربا
توخيت إصلاح ابن آدم غيرة ... وقد كان إصلاح السراحين أقربا
وحاولت إطفاء الشرور ولم يكن ... على الشيخ إطفاء البراكين أصعبا
ومن رام تقويم الطباع التى التوت ... قضى يائسا منها كما عاش متعبا
فان الذى فارقته متعصبا ... لقد زاده مر الليالى تعصبا
وما خفتت فى اللاذقية ضجة ... وما زال ذياك الضجيج محجبا
فما الناس الا اثنان صار مدجج ... ومستضعف لم يعط نابا ومخلبا
وإنا لنخشى أن نصاحب ضيغما ... وإنا لنأبى ان نصاحب ثعلبا
وما عز من يسطو على حق جاره ... ولو مد بين الارض والشمس كوكبا
وما ذل حق فى عراك لباطل ... وكم رب حق فى الكف قد أذل وخيبا
وليس يفيد الحق فى الحرب ربه ... إذا قل فى الكف المهند أو نبا
وفيم اقتتال الناس والموت قصدهم ... سيبلغه من هف منهم ومن حبا

فلو أنفقوا بعض الذى ينفقونه … على الشر من جهد على الخير ما كبا
قد اختلفوا روحاً وعقلا وفطرة … كما اختلفوا دارا ودينا ومذهبا
لهم مجلس للسلم تمتد فوقه … سحائب نقع تجعل النور غيهبا
اذا اجتمعوا فيه لترتيب خطة … توقعت الاعزال شرا مرتبا
وإن أنصفوا شعبا ضعيفا بقولهم … رأى نصفهم بالفعل ظلما مشعبا
ولو وصلت أبحاثهم فى اجتماعهم … الى الشيخ ـ وهو الجهبذ ـ الضحك أغربا
فيا من رأى فى الدين قيداً لعقله … فأعمل فيه مبرد النقد مغضبا
ولم ير فى القلاع من حلقاته … وفى قفله الا حديدا مذهبا
فأعلن للغاوين لا متهيباً … ولا طامعا ما كان عنهم مغيبا
« أفيقوا أفيقوا يا غواة فانما … دياناتكم مكر » وأحلامكم هبا
فما عملوا الا بوحى قلوبهم … فأعرض عنهم مشفقا متعتبا
وآثر ان يحيا بقية عمره … سجينا اذا جاءوا يواسونه أبى
على انهم لا مهرب من مجيئهم … كما جاء ظمآن غديرا ليشربا
عطاشا الى ما يسكر النفس حوله … جياعا الى ما يشبه العقل سغبا
صبابتهم شعر وعلم وانه … خزانة أشعار وعلم لمن صبا
يقول لهم عودوا الى العقل كلما … دعيتم الى تصديق ما العقل كذبا
من اشتار ما كدت له النحلة اعتدى … ومن قتل الشاة البريئة أذنبا
ومن سرح البرغوث من أسر كفه … أعد له فى دولة الفضل منصبا
تعاليم احسان وعطف ورأفة … وليدة فكر نوره قط ما خبا
ولكنها ما دام للشر عزة … فضائع يقضى شقيا معذبا
وما دام ناب الليث يوليه حرمة … فأهلا وسهلا بالشيوب ومرحبا ؟
سلام امام العاقلين على حجى … من الشمس يحكى قرصها المتلهبا
ألوف وراء الالف تمضى وذكره … يظل لأمثال الحقيقة مضربا

برازيل … الياس فرحات